مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: ثلاثة وسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي — جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي — جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي — جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي — الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد — جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل — جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة — جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار — جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان — جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: ثلاثة وسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	— مدير هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	— مقوم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
م. مترجم.نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	— مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـات

العنـوان	الصفحة
الطللية رمزاً للهوية العربية في شعر ما قبل الإسلام أ.د. مؤيد محمد صالح اليوزبكي * و م.م.محمود عمر محمد سعيد	١ - ٣٠
محمد بن إسماعيل الصنعاني اليمني المعروف بالأمير (١٠٩٩ هـ . ١١٨٢ هـ) ومنهج الكشف عن الدلالات اللفظية دراسة في كتابه : تفسير غريب القرآن أ.م.د . أحمد صالح يونس محمد	٣١ - ٦٦
بناء القصيدة الدينارية للمتنبي أ.م.د. نوار عبد النافع الدياغ	٦٧ - ٨٠
سيرة أبي حنيفة النعمان ومتنه : (المقصود) - جمع وتوثيق- أ.م.د. معن يحيى محمد العبادي و م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	٨١ - ١٠٦
الألفاظ الدالة على الحيوان في آي من القرآن المجيد م.د. صلاح الدين سليم محمد	١٠٧- ١٣٦
قراءة عمرو بن عبيد (ت١٤٤هـ) . جمع وتوثيق ودراسة . م.د.خالد علي سليمان الشمري	١٣٧- ١٦٢
جماليات التصوير الفني في سورة الزلزلة م.د. صبا شاكر محمود الراوي	١٦٣- ١٨٤
قراءة أبي الدرداء (رضي الله عنه)- جمع ودراسة - م.د. رافع عبد الغني يحيى الطائي	١٨٥ - ٢١٠
أثر المصوتات القصيرة في دلالة البنية الصرفية م.د. شوكت طه محمود	٢١١- ٢٥٦
علامات الاتصال غير اللفظية في شعر الشريف الرضي م.د. حمد محمد فتحي	٢٥٧- ٢٧٤
توظيف اللغة من الدال الصوفي الى التعبير الفني في ديوان مدخل الى الضوء للشاعرة وفاء عبد الرزاق م.د. قاسم محمود محمد	٢٧٥ - ٣٠٢
أثر التأقيت في عقد الزواج د. مريم محمد الظفيري	٣٠٣ - ٣٣٠
الوزير العباسي ابن الفرات(٢٩٦ – ٣١٢هـ / ٩٠٨ – ٩٢٤م) وإصلاحاته الإدارية والمالية في الدولة العباسية أ.م.د. مهند نافع خطاب المختار	٣٣١ - ٣٧٦
خانية آسيا الوسطى المغولية دراسة سياسية (٦٢٤- ٧٦٥هـ/١٢٢٦- ١٣٦٤م) أ.د.علاء محمود قداوي و أ.م.د.رغد عبدالكريم النجار	٣٧٧ – ٤٤٤

الإدارة المالية والضرائب في مصر في عهد محمد علي باشا ١٨٠٥-١٨٤٨م م.د أحمد محمد نوري أحمد العالم	٤٤٥ – ٤٨٨
لمحات عن حياة الصحابي محمد بن مسلمة الانصاري "رضي الله تعالى عنه" م.د. سالم عبد علي العبيدي	٤٨٩ – ٥٠٤
منهج التربية الوطنية وتأثيره في التنشئة السياسية للصف السادس الابتدائي دراسة اجتماعية تحليلية أ.م. إيمان حمادي رجب	٥٠٥ – ٥٢٨
مدرسة شيكاغو المبكرة ١٨٩٢-١٩٥٠ دراسة اجتماعية في المكان والتاريخ والتطبيق أ.م. نادية صباح محمود الكبابجي	٥٢٩ – ٥٥٢
"الحياة الاجتماعية العراقية في مرآة الرحّالة الأوربيين" دراسة تحليلية أ.م. حارث علي حسن	٥٥٣ – ٥٧٦
السمات العامة للشخصية الموصلية من خلال الأمثال الشعبية دراسة اجتماعية – تحليلية م.ريم أيوب محمد	٥٧٧ – ٦٠٠
واقع المرأة بين العرف الاجتماعي والقانون دراسة اجتماعية تحليلية م. هند عبدالله احمد و م. إيناس محمد عزيز	٦٠١ – ٦٢٢
التنظيم الأسري ودوره في الحد من الطلاق-دراسة ميدانية في مدينة الموصل م.م داليا طارق عبد الفتاح	٦٢٣ – ٦٤٨
تحليل الاشارات الببليوغرافية لاطروحات الدكتوراه لكلية القانون في جامعة الموصل للأعوام (٢٠٠٢-٢٠٠٦) م. وسن سامي الحديدي م. رفل نزار عبد القادر الخيرو	٦٤٩- ٦٨٨
خطة تنفيذ خدمة الإحاطة الجارية عن طريق الفيس بوك في مكتبة المعهد التقني /الموصل م. أمثال شهاب احمد الحجار	٦٨٩- ٧٠٨

الوزير العباسي ابن الفرات(٢٩٦ – ٣١٢هـ / ٩٠٨ – ٩٢٤م) وإصلاحاته الإدارية والمالية في الدولة العباسية

أ.م.د. مهند نافع خطاب المختار *

تأريخ التقديم: ٢٠١١/٧/٢ تأريخ القبول: ٢٠١١/٨/١٤

اسمه ونسبه ونشأته :

هو أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات العاقولي الكاتب، تولى والده محمد بن موسى اعمالاً جليلة[١]، ولد علي بن الفرات في يوم الثلاثاء الخامس من شهر رجب سنة (٢٤١هـ / ٨٥٥م)، في قرية من قرى النهروان الاعلى تدعى بابلا صريفين[٢]، وقيل ولد في قرية هُمينيا وهي قرية تقع بين مدينتي بغداد وواسط [٣]، وكان ثاقب النظر قوي الذاكرة سريع الحفظ لا ينسى شيئاً حسن التدبير للامور كفوءاً في عمله، وكان اديباً فصيحاً في كلامه يعد من الدهاة الأدباء الأجواد، وكانت اخلاقه وهو في الوزارة هي نفسها عندما كان كاتباً بسيطاً [٤]، وكان حسن السؤال

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

(١) الهمذاني : أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد المعروف بالمقدسي : تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق : البرت يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية ، ط١ (بيروت : ١٥٨) ، ٤٨ .

(٢) الصولي : ابو بكر محمد بن يحيى : قسم من اخبار المقتدر بالله العباسي ، من كتاب الاوراق ، تحقيق : خلف رشيد نعمان ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد : ١٩٩٠) ، ٤٤ ؛ ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي : معجم البلدان ، دار صادر، ط٢ (بيروت : ١٩٩٥ م) ، ٣ / ٤٠٤ .

(٣) ذكر ياقوت الحموي بانها قرية كبيرة تقع بين مدينتي بغداد والنعمانية . ينظر : معجم البلدان ، ٥ / ٤١٠ ، ٤١٧ .

(٤) الصابي : ابو الحسن هلال بن المحسن : الوزراء أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، دار الافاق العربية (القاهرة : ٢٠٠٣م) ، ٢٥٩ .

والجواب [١]، مؤدباً في اقواله وافعاله مع الجميع، قال الصولي: ((ورأيت من أدبه انه دعا خاتم الخلافة ليختم به كتاباً، فلما رآه قام على رجليه تعظيماً للخلافة))[٢]، ومن محاسنه التي يشهد لها العامة انه كان من عادته ان يقول في كلامه للشخص الذي يخاطبه: بارك الله عليك، في حين ان من عادة ابي الحسن علي بن عيسى ان يقول: ((وال أو والك))[٣]، فكان الناس يقولون: ((لو لم يكن من الفرق بين الرجلين الا ما بين الكلامين من الخشونة واللطف لكان من اعظم فرق))[٤].

اصبح كاتبا في الدولة منذ ايام الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦ . ٢٧٩هـ / ٨٧٠ . ٨٩٢م)، واتصل بالخليفة المعتضد باللَّه (٢٧٩ . ٢٨٩هـ / ٨٩٢ . ٩٠١م) فولاه ديوان السواد، ثم تولى امر الدواوين في ايام الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ . ٢٩٥هـ / ٩٠١ . ٩٠٧م)، ثم بلغ رتبة الوزارة في أوائل أيام الخليفة المقتدر بالله، فولاها اياه ثلاث مرات عندما افضت الخلافة اليه، اذ اقره وزيره آنذاك وهو – العباس بن الحسن – على ولايته، وعندما وقعت فتنة ابن المعتز وقُتِل الوزير العباس ولاه الخليفة المقتدر الوزارة في سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) وفوض اليه الامور كلها، فسار بالعدل والاحسان والعفو عن الجناة والافضال .

تميز ابو الحسن بالحساب والخراج، وله فيه مصنَّف، حتى فاق اخوه احمد – الذي يكبره سناً – في ذلك، ولكنه كان ارفع منه طبقة في الآداب والعلوم[٥]. وفاق الوزير

(١) ابن الاثير : أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري : الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت –١٩٩٧م) ، ٦ / ٦٩٦ .

(٢) ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، ط١ (بيروت: ١٩٧١) ٣ / ٤٢٣ .

(٣) كلمة عراقية عامية .

(٤) الصابي : الوزراء ، ٣٥٩ .

(٥) الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله : الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث (بيروت : ٢٠٠٠م) ، ٢٢ / ٩١ ؛ الزركلي : خير الدين بن محمود بن محمد ابن علي بن فارس الدمشقي : الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط١٥ (بيروت : ٢٠٠٢م) ، ٤ / ٣٢٤ .

علي بن عيسى وتميز عليه في هذا المجال، فقد جرت مقارنة بينه وبين علي بن عيسى ذات مرة في احدى مجالس الغداء في ايام وزارة أبي العباس أحمد بن عبيد الله الخصيبي، فقال عنهما: ((كان ابن الفرات نافذاً في عمل الخراج وتدبير البلاد وجباية المال وافتتاح الأطراف، وأليق من علي بن عيسى في سياسة الملك، وكان علي بن عيسى كثير التدين شديد التصون عفيفاً عن المال، وله مذهب في الترسل لا يلحقه فيه أحد ولا ابن الفرات)) [١].

ويُعد ابو الحسن الممهد لدولة المقتدر بالله، قال عنه صاحب كتاب الفخري في الاداب السلطانية: ((فنهض بتسكين الفتنة احسن نهوض، ودبر الدولة في يوم واحد، وقرر القواعد واستمال الناس ولم يبت تلك الليلة إلا والأمور مستقيمة للمقتدر واحوال دولته قد تمهدت))[٢]. وقال احد الشعراء في تدبير ابن الفرات :

ودبـــرت فـــي ســـاعة دولـــة تميـــل بغيـــرك فـــي اشـــهر [٣].

وعدّ من أدهى الوزراء في عصره ، مؤهلا لمنصب الوزارة واهلاً لها، ويرى نفسه جديراً بها حتى انه قال ذات مرة: ((والله لو علمت أنني إذا ذُكِرتُ لملك الروم وبين يديه بطارقته، وملك الترك وحواليه عدده لم ترتعد فرائصهما لما قعدت هذا المقعد !))[٤]. تقلد المنصب وقد بلغ من العمر الخامسة والخمسين[٥]، مما يعني انه قد اكتسب، خلال عمره

(١) الصابي : الوزراء ، ٩٨ ؛ وينظر : التنوخي : ابو علي المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم البصري ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، (د.م : ١٣٩١هـ) ، ٢ / ٢٩ . ٣١ .

(٢) ابن طباطبا : محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تحقيق : عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي ، ط١ (بيروت – ١٩٩٧م) ، ٢٥٩ ؛ وينظر : الصابي : الوزراء ، ١٢٤ .

(٣) ابن طباطبا : الفخري ، ٢٥٩ .

(٤) الصابي : الوزراء ، ٧٧ .

(٥) الصابي : الوزراء ، ٨٣ .

المديد، خبرة كافية في الامور الادارية والمالية[١]، وقد ظهر في منصبه هذا بمظهر الفخامة والعظمة، وقد اكسبته الخدمة الطويلة والخبرة الواسعة بشؤون الوزارة وادارة الدولة، السيطرة على امورها الاقتصادية المتشعبة سيطرة كاملة[٢] .

ومن فضائله التي لم يسبق اليها انه كان اذا رفع اليه قصة فيها سعاية خرج من عنده غلام فنادى: اين فلان بن فلان الساعي، فلما عرف الناس ذلك من عادته امتنعوا عن السعاية باحد[٣]، ومن محاسنه انه حُمِل إليه من دار ابن المعتز صندوقان عظيمان فيهما اسماء من شارك في الفتنة، فلم يفتحهما واحرقهما، وقال لمن كان حاضراً: ((والله لو فتحتها وقرأت ما فيها لفسدت نيات الناس كلهم علينا، واستشعر الخوف منا، ومع فعلنا ما فعلناه طوينا الأمور بهذا، فهدأت القلوب واطمأنت النفوس))[٤] .

عاش ابن الفرات احدى وسبعين سنة وستة اشهر[٥]، وكان ثرياً جداً تجاوزت ثروته العشرة ملايين دينار[٦]، وكان دخله من املاكه يبلغ مليون دينار في العام، ينفقه كله[٧]. وأنشده أبو الحسين، عليّ بن هشام، لما قتل أبو الحسن بن الفرات :

---

(١) حمدان عبد المجيد الكبيسي : عصر المقتدر بالله (٢٩٥ – ٣٢٠هـ / ٩٠٧ – ٩٣٢م) ، مطبعة النعمان (النجف : ١٩٧٤م) ، ١٥٨ .

(٢) ادم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الاسلامية ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مكتبة الخانجي، دار الكتاب العربي، ط٤ (بيروت : ١٩٦٧م)، مج ١ / ١٨٢ ، ١٨٤.

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٢٣ .

(٤) الصابي : الوزراء ، ١٣٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٢٧ .

(٥) الصابي : الوزراء ، ٧١ .

(٦) قال الصولي : ((ولا نعرف وزيراً جلس في الوزارة وملكه من العين والورق والضياع والاثاث يحيط بعشرة الاف الف دينار غير ابن الفرات)). ينظر : قسم من اخبار المقتدر بالله ، ١٤٦ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٣ / ٤٢٢ ؛ الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز : العبر في خبر من غبر ، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية (بيروت : د.ت) ، ١ / ٤٦٤ .

فـــرات غـــاض مـــن آل الفـــرات ففـــاض عليـــه دمـــع المكرمـــات

ســـماء غـــودرت فـــي بطـــن أرض وبحـــر غـــاض فـــي بعـــض الفـــلاة

عســـى الأيّـــام آخـــذة بثـــار فتأخـــذ لـــي بثـــار المـــأثرات[١].

وكان مبلغ المال الذي صودر عليه الوزير أبو الحسن بن الفرات مليون وستمائة الف دينار اداها جميعها في مدة ستة اشهر منذ ان قبض عليه [٢].

أبناؤه:

واولاده ثلاثة هم ابو احمد المحسن وابو نصر الفضل والحسين[٣]، ومن ابنائه الذين اشتهرت اخباره الى جانب اخبار ابيه المحسن بن علي بن محمد بن الفرات، (٢٧٩ – ٣١٢ هـ / ٨٩٢ – ٩٢٤ م)، وولاه أبوه ديوان المغرب في وزارته الاولى سنة (٢٩٧هـ / ٩٠٩م) وعزلا معا ونكبا سنة (٣٠٦هـ / ٩١٨م)، ولما عاد أبوه إلى الوزارة في سنة (٣١١هـ / ٩٢٣م) وهي وزارته الثالثة، أطلق يد المحسن في أمور الدولة، فبالغ في الانتقام من خصومه وخصوم أبيه، فسجن وعذب وغرب وصودر وقتل، ولم تطل مدته حيث قتل مع والده وقطع رأسه والقي في نهر دجلة [٤].

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٤ / ٤٢ .

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٤ / ١٦٤ .

(٣) الخطيب البغدادي : ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي ، تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١(بيروت : ١٤١٧هـ) ، ١٩ / ٦٧ . ٦٨ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٧ / ٥٠ .

(٤) عريب القرطبي : عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبري ، دار التراث (بيروت : ١٣٨٧هـ) ، ٣٤ و ٧٣ و ١١١ – ١٢١ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان : ٣ / ٤٢٢ ، ٤٢٣ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٥ / ٢٨٨ .

- عمله في الكتاب:

إن اول اتصال لعلي بن الفرات بالخلفاء والعمل في الدواوين كان في عهد الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦ . ٢٧٩هـ / ٨٧٠ . ٨٩٢م)، إذ أن أول إشارة تذكرها المصادر ترجع الى زمن هذا الخليفة وان بني الفرات كانوا كتابا يتولون مناصب عالية في وزارة الوزير اسماعيل ابن بلبل، الذي يُعدِ الاخوان احمد وعلي ابنا الفرات من اقدر عماله في وزارته، وقد عين احمد ابن الفرات نائبا عنه إذ جعله مشرفاً بدله على ديوان السواد، ولمّا تولى المعتضد بالله الخلافة القي القبض على الوزير اسماعيل بن بلبل، واختير عبد الله بن سليمان بن وهب وزيراً بدلاً عنه وخلع عليه ورد اليه أمر كتابه وذلك في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر صفر من سنة (٢٧٨هـ / ٨٩١م)، وطلب بنو الفرات وكانوا يتولون ديوان السواد آنذاك فاختفوا [١].

وعلى الرغم مما كان يتمتع به الوزير عبد الله بن سليمان من امانة وتقي وورع الا انه لم تكن لديه القدرة على ادارة شؤون الدولة، وواجه عجزاً مالياً في اول ايامه بالوزارة إذ كان الوزير اسماعيل بن بلبل قد استخرج خراج السواد لسنتين في سنة واحدة، ولم يكن في بيت المال من اموال ولا نفائس، وكان عليه ان يوفر مبلغ سبعة الاف دينار يومياً لسد نفقات دار الخلافة على اقل تقدير في اسرع وقت ممكن، فلجأ الى كُتابه واصحاب الدواوين وطلب منهم العمل على توفير المبلغ المطلوب، وطلبوا منه ان يمهلهم شهراً، وعجزوا عن ايجاد المصادر التي يمكن استحصال وتمويل المبلغ منها .

وكان احمد وعلي ابني الفرات قد أُلقي القبض عليهما في اعقاب فتنة الوزير اسماعيل ابن بلبل واودعا في السجن، ونكلّ بهما وعذّبا وصُودِرا ، فأُشير على عبيد الله ان يستعين بهما لحل هذه الازمة لامكانيتيهما في ايجاد الطريقة التي يمكن ان يخرج بها من ازمته الماليه، فطلب من الخليفة المعتضد بالله ان يطلق صراحهما ليستعين بهما،

(١) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي : تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث ط٢ (بيروت : ١٣٨٧هـ) ، ١٠ / ٢٢ ؛ مسكويه : ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب : تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تحقيق : ابو القاسم امامي ، ط٢ (طهران : ٢٠٠٠م) ، ٤ / ٤٨٧ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ٦ / ٤٦٠ .

ومما قال له: ((أنا بعيد العهد بالعمل، وابنا الفرات قد خبرا الأعمال ووجوه الأموال، وعندهما من علم ذاك ما يُحتاج إليهما فيه)) [١].

فلما أطلق سراحهما واستعملهما، فاختلا باحمد بن محمد الطائي واتفقا معه على تضمين اعمال الكوفة والقصر وباروسما الاعلى والاسفل وغيرها على ان يدفع كل يوم سبعة الآف دينار، وفي كل شهر ستة الاف دينار، واخذا خطه بالتزام الضمان على ما تقرر في الاوقات، وجاءوا بعقد الضمان الى الوزير عبيد الله فسر بذلك ودخل على الخليفة واخبره تأمين مبلغ النفقات اليومية وما تم الاتفاق عليه، فقال له الخليفة: ((قد كنت يا عبيد الله أعلم مني بهما، وما يجب إضاعة مثلهما))[٢] .

لقد اقدم ابو العباس احمد بن الفرات على تنظيم جديد في عهد الخليفة المعتضد بالله حيث اعاد تنظيم ديوان الخراج الذي كان يتولاه آنذاك، فانشأ ديواناً جديداً عرف باسم بـ (ديوان الدار)، لان اكبر مهام الوزير هي ضمان سير عمل ديوان الخراج بصورة صحيحة، لان اموال الخراج هي المورد الرئيسي للاموال التي كانت تحتاج إليها الدولة، ولقد قام احمد بن الفرات بالإشراف على سير العمل فيه بنفسه، واستناب اخاه ابا الحسن علي بن الفرات على تسيير اموره، وعمل على توظيف كتاب قلدهم المجالس التي استُحدثت في هذا الديوان[٣].

ولقد تميز كل من ابي الحسن علي بن الفرات واخيه ابي العباس من بين فئة الكتاب في تلك الفترة وبرعا في مجال اختصاصهم والأعمال التي أوكلوا بها في دواوين الدولة المختلفة [٤]، مدحهما غير واحد لتفانيهما في العمل وبذلهما الجهود الكبيرة في أداء الواجبات الموكلة لهما، ومما ذكره احد المقربين عنهما ممتدحاً: ((مضيت قاصدا حتى

---

(١) الصابي : الوزراء ، ١٣ . ١٤ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٣ / ٤٢٢ .

(٢) ينظر نسخة كتاب الضمان وتفصيل النفقات اليومية ، الصابي : الوزراء ، ١٥ . ٢٧ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ١٤٨ ؛ ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي : تاريخ ابن خلدون او ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢ (بيروت : ١٩٨٨م)، ٦ / ٧٤٤ .

(٤) للمزيد من الروايات التي تتحدث عن براعتهما في الأعمال الإدارية وتفانيهما بالعمل ولاسيما علي بن الفرات في أثناء توليه الأعمال في الدواوين . ينظر : الصابي : الوزراء ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ .

رأيت أبا العباس بن الفرات وأبا الحسن أخاه ينظران في الأعمال، فنظرت إلى حفظ لأمر الدنيا لم أر مثله، ولو رآهما من تقدم من الكتاب لعلموا أنهم لم يروا مثلهما))[١]، وكان علي بن الفرات متمكناً في عمل حسابات الخراج وفي جباية المال، بارعاً في عمل نسخ الكتب بأجزل كلام واحسنه، الا ان خطه كان سيئاً لان يده كانت لا تساعده في الكتابة فكان يستعين بكاتب لكتابة الكتب التي يوجهها الى الولايات والعمال [٢]، وهذا يعني انه اذا اراد منه الخليفة كتابة كتابٍ سريٍ لا يريد ان يعلمه احد غيرهما ويحفظه، عجز عن ذلك لانه سوف يستدعي كاتبه الزنجي والذي يساعده صاحب دواة فيخرج السر بينهم[٣]، مما كان يتوجب عليه ان يحسن اختيار كتابه لضمان حفظ اسراره وعدم ذيوعها .

عُدّ علي بن الفرات واحد من اربعة كتاب تميزوا في عهد الخليفة المعتضد بالله الذين تولوا الدواوين ودبروا الامور والاعمال الى جانب اخيه احمد بن الفرات ومحمد بن داود بن الجراح وعلي بن عيسى[٤] .

وبقي علي بن الفرات من الكتاب المتقدمين في عهد الخليفة المكتفي بالله [٥]، وعندما عزم على الاستغناء عنه وعن اخيه من كثرة السعايات والوشايات بهما، قال له حاجبه خفيف السمرقندي: ((الخليفة الماضي لم يستغنِ عن ابني الفرات ووزيره عبيد الله بن سليمان، كيف تستغني عنهما ووزيرك القاسم))[٦]، ولما حاول البعض إطماع الخليفة بأموال علي بن الفرات ومصادرة أمواله ووضعها في بيت مال الخاصة، قال: ((نعمة ابن الفرات لي، ومتى أردتها أخذتها، وما يُمكني إنشاء كاتب واصطناعه والرفع منه حتى يكون حاله الحال الذي يظن فيه)) [٧].

(١) الصابي : الوزراء ، ١٦٠ .
(٢) الصابي : الوزراء ، ٩٨ ، ١٤٥.
(٣) الصابي : الوزراء ، ٧٣ . ٧٤ .
(٤) الصابي : الوزراء ، ٢٨٦ .
(٥) الصابي : الوزراء ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٣ .
(٦) الصابي : الوزراء ، ١٦٢ ، ٢٥٢ .
(٧) وكان ما قاله الخليفة المكتفي بالله وفعله من احسن ما روى وأُثر عن خليفة قبله. الصابي : الوزراء، ١٥٤ .

ولما توفي ابو العباس احمد بن الفرات امر الخليفة المكتفي بالله وزيره القاسم بن عبيد الله بن سليمان (٢٧٧ – ٢٨٨هـ / ٨٩٠ – ٩٠٠م) ان يقلد الدواوين اخوه علي بن الفرات مكانه، واعلمه انه كثيراً ما كان يسمع من ابيه الخليفة المعتضد بالله في وصف بني الفرات وذكر كفايتهم، ولما انتهت ايام العزاء، حضر الى الديوان ونظر في الاعمال وامضاها، وخرجت توقيعاته على الاعمال المتأخرة[١] .

. عمله بالوزارة :

تعد الوزارة احدى اهم مناصب الدولة العباسية بعد الخلافة، وترسخت اسسها في العصر العباسي وتوسعت سلطاتها حتى صارت تشرف على الدواوين كافة، وكان الوزراء كتاباً من الدرجة الاولى بثقافاتهم ومؤهلاتهم، واحتفظت الوزارة بقوتها وهيبتها، واصبح الوزير مهيمناً على جميع مرافق الدولة، بل تدخل في اختيار الخليفة نفسه، ويعزى نجاح الخليفتين المعتضد بالله والمكتفي بالله وازدهار عهديهما الى مقدرتهما في اختيار وزرائهما من ذوي المقدرة والكفاية الادارية والمالية[٢] .

وعندما تولى المقتدر بالله الخلافة اصبح منصب الوزارة من الضعف بحيث تولاه كل من يدفع مالاً اكثر، فتضاءلت هيبة الوزراء، رغم تولي نخبة طيبة من الوزراء الأكفاء، الذين حاولوا جهد إمكانهم ان يعيدوا للدولة وللوزارة هيبتها وقوتها، وأسرف الخليفة في تعيين الوزراء وعزلهم ايضاً، بحيث بلغ عددهم في عهده اثنتي عشرة وزيراً وتعرض معظمهم للمصادرة او السجن او القتل[٣].

---

(١) الصابي : الوزراء ، ٢٤٩ ، ٣٩٠.

(٢) حسام الدين السامرائي : تطور نظام الوزارة منذ خلافة المعتصم بالله حتى دخول البويهيين بغداد ، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، (مكة المكرمة : ١٤٢٧هـ) ، ج١٨ ، ع٣٩ ، ٢٨٢، ٢٩٢ ؛ ضيف الله يحيى الزهراني : النفقات وادارتها في الدولة العباسية من سنة ١٣٢ . ٣٣٤هـ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة ام القرى ، (مكة المكرمة : ١٤٠٤هـ) ، ٢٤٧ .

(٣) توفيق سلطان اليوزبكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل : ١٩٧٦م) ، ١٢٨ .

وكان ابو الحسن علي بن الفرات من أوائل الوزراء الذين تولوا الوزارة في عهد الخليفة المقتدر بالله لثلاث مرات وهي كما يأتي:

الوزارة الأولى من (٢٩٦ – ٢٩٩هـ / ٩٠٨ – ٩١١م) تولاها يوم الأحد في العشرين من شهر ربيع الأول من سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٨م)[١]، انتهت بالقبض عليه يوم الأربعاء في اليوم الرابع من شهر ذي الحجة من سنة (٢٩٩هـ / ٩١١م)[٢]، وسجن لمدة خمس سنوات، واخرج من السجن إلى الوزارة مباشرة، فكانت مدّة وزارته الأولى ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما[٣]، وتقلّد الوزارة بعده، أبو علىّ محمّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٢٩٩ – ٣٠١هـ / ٩١١ – ٩١٣م)[٤]، ثم تولاها ابو الحسن علي بن عيسى (٣٠١ – ٣٠٤هـ / ٩١٣ – ٩١٧م)[٥] .

واعطى الخليفة المقتدر بالله وزيره ابن الفرات علي بن محمد الضياع التي كان المكتفي بالله قد اقطعها للعباس بن الحسين، فكان ارتفاعها خمسين الف دينار، واقطعه عدد من الدور وما يجاورها من اراضي بلغت مساحتها (١٣٧،٣٤٦) ذراع، واجرى له خمسة الاف دينار في كل شهر[٦]، وفرض رواتب لابناءه المحسن والحسين والفضل الف وخمسمائة دينار، كل واحد منهم خمسمائة دينار[٧] .

وتولى الوزارة الثانية بين عامي (٣٠٤ – ٣٠٦هـ / ٩١٧ – ٩١٨م) ، وتولاها في يوم الاثنين الثامن من شهر ذي الحجة من سنة (٣٠٤هـ / ٩١٧م)[٨]، وقبض عليه

(١) الصابي : الوزراء ، ٢٨ ؛ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٣٢ ؛ ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق: قاسم السامرائي ، دار الآفاق العربية، ط١ (القاهرة : ٢٠٠١م) ، ١٥٦ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ٣٤ ؛ ابن العمراني: الإنباء ، ١٥٦؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٢١ .

(٣) عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٣٩ .

(٤) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٧٣ ؛ ابن العمراني : الإنباء ، ١٥٦ .

(٥) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٧٩ ؛ ابن العمراني : الإنباء ، ١٥٧ .

(٦) الصابي : الوزراء ، ٢٩ .

(٧) الصابي : الوزراء ، ٢٩ .

(٨) عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٥٩ .

يوم الخميس في السابع والعشرين من شهر جمادى الاولى من سنة (٣٠٦هـ /٩١٨م)[١]، وكانت مدة وزراته هذه سنة واحدة وخمسة اشهر وتسعة عشر يوماً[٢]، وسجن في قصر الخلافة نحو سنتين، وتولى حامد بن العباس الوزارة من بعده ما بين الاعوام (٣٠٦ – ٣١١هـ /٩١٨ – ٩٢٣م)[٣].

واما وزارته الثالثة فقد كانت ما بين عامي (٣١١ . ٣١٢ هـ /٩٢٣ – ٩٢٤م) ، وتولاها بعد ان اخرج من السجن يوم الخميس في الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة (٣١١هـ / ٩٢٣م)[٤]، والقي القبض عليه يوم الاحد في الرابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة (٣١٢هـ / ٩٢٤م)[٥]، وكانت مدة وزارته الثالثة عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً[٦]، وسجن ٣٣ يوما ثم ضربت عنقه وعنق ابنه المحسن يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الآخر من سنة (٣١٢هـ / ٩٢٤م)، وحُمِل رأسيهما إلى دار الخلافة ثم غرقا في نهر الفرات، وطرحت جثتهما في نهر دجلة[٧]. وقد همّ الخليفة المقتدر بالله أن يخلع عليه الوزارة للمرة الرابعة ولكن قادة الجند والحاشية رفضوا ذلك وأوعزوا إلى الجند بالقيام بأعمال الشغب وحمل السلاح والمناداة: ((قد عزم السلطان أن يستوزر ابن الفرات مرة رابعة ولا نرضى إلا بقتله على عظيم ما احدث في الملك، وافسد من الأمور، واتلف من الرجال))[٨] .

(١) الصابي : الوزراء ، ٣٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٣ / ٤٢٢ .
(٢) عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٦٨ .
(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٢٢ / ٩١ .
(٤) الصابي : الوزراء ، ٣٩ .
(٥) الصابي : الوزراء ، ٧٠ ؛ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ١٠٤ ؛ ابن العمراني : الإنباء ، ١٥٧ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٣ / ٤٢٢ .
(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٢٢ / ٩١ .
(٧) الصابي : الوزراء ، ٧١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣ / ٤٢٤ .
(٨) عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ١٠٥ .

وقد أشاد الوزير أبو علي بن مقلة بمآثر الوزير ابن الفرات وانجازاته التي حققها خلال توليه لمنصب الوزارة، وانه نهض بأمور الدولة كلها على أتم وجه واستطاع أن يحل العديد من المشاكل والأزمات التي كانت تواجهها الدولة آنذاك(١).

. عمله في المظالم:

وكان الوزير أبو الحسن علي بن الفرات ملتزما بالجلوس للمظالم لا يتهاون في هذا الأمر ومن عادته في وزارته الأولى أن يجلس كل يوم احد منذ الصباح الباكر للنظر في المظالم التي كانت ترد إليه من الأمراء والعمال والقضاة وغيرهم، وكان ينوب عنه في بعض الأحيان شخصاً للجلوس مكانه والنظر في الشكاوى المقدمة وبمعاونة صاحب ديوان المظالم والتوقيع عليها أو عرضها على الوزير أن كان الأمر هاما يستدعي نظره فيها والاطلاع عليها ليخرج توقعيه عليها(٢).

وكان يحزنه أن ينصرف أصحاب المظالم من دون أن تحل مشكلاتهم، وقد قصدوا ديوان المظالم من أماكن بعيدة ومتعددة مستصرخين ومتظلمين(٣)، وكان يطالبهم بعدم التنازل عن حقوقهم أو الانصراف إلا بعد قضاء حوائجهم أو مراجعته في حال لم يتم تلبية مطالبهم وتقضى حاجاتهم(٤)، وهناك أكثر من رواية تشير إلى نظره في شكاوى المتظلمين والتدقيق فيها ومن ثم التوقيع عليها والأمر بتنفيذها (٥). حرصاً منه على تمشية أمور الدولة وحل الإشكالات الحاصلة في الأقاليم والأمصار والمدن والقرى كلها.

(١) الصابي : الوزراء ، ١٢٤ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥ / ٦٢ .
(٢) الصابي : الوزراء ، ١٢٢ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥ / ٥٧ .
(٣) الصابي : الوزراء ، ١٢٢ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥ / ٥٨ .
(٤) الصابي : الوزراء ، ٧٤ . ٧٥ .
(٥) الصابي : الوزراء ، ١٢٤ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥ / ٦٢ . ٦٣ .

وكان عطوفاً كريماً في الإغداق على أصحاب الحوائج من أموال الدولة ولكنه لا يقبل التلاعب والتزوير[١]، لا يكلف احد من المتظلمين بدفع شيء من الأموال عند تقديم شاكيته وكتابة عريضته فقد خصص لهم أدارج كثيرة فيها القراطيس التي يحتاجونها[٢] .

- ابن الفرات مشاورا :

وكان أبو الحسن علي بن الفرات ذو رأي ثاقب وبُعد نظر، لذا كان يطلب منه إبداء الرأي ويستشار من قبل الخليفة والوزير والقادة العسكريين، فقد كان له الدور الكبير في اختيار الخليفة بعد وفاة الخليفة المكتفي بالله وإقناع الوزير العباس بن الحسن باختيار المقتدر بالله، فقد مات الخليفة المكتفي من دون أن يصرح بولاية العهد، فعرض الوزير الأمر على كبار الكتاب، ومنهم أبي الحسن علي بن الفرات ، وطلب منه إبداء رأيه، لما رآه ممسكاً عن إبداءه متسائلاً عن سبب إمساكه ، وكان يريد أن ينفرد الوزير بكل واحد منهم ليقول رأيه بصراحة دون خوف أو تقية، ثم يجمع الآراء ويختار منها ما يراه صوابا ويوافق فكره ، فأخذ بيده واختلى به[٣]، وكان علي بن الفرات ميالاً إلى اختيار جعفر بن المعتضد، وعلم أن الوزير العباس بن الحسن ميالاً إلى اختيار ابن المعتز خليفة، قائلاً له: ((قررت رأيك على ابن المعتز؟ قال: هو أكبر من يوجد. قال: وأي شيء تعمل برجل فاضل متأدب قد تحنك وتدرب وعرف الأعمال ومعاملات السواد وموقع الرعية في الأموال، وخبر المكاييل والأوزان وأسعار المأكولات والمستعملات، ومجاري الأمور والمتصرفات، وحاسب وكلاءه على ما تولوه، وضايقهم وناقشهم، وعرف من خياناتهم واقتطاعاتهم أسباب الخيانة والاقتطاع التي يدخل فيها غيرهم، فكيف يتم لنا معه أمر إن حمل كبيراً على صغير، وقاس جليلاً على دقيق؟! هذا لو كان ما بيننا وبينه عامرا وكان صدره علينا من الغيظ خاليا، فكيف وأنت تعرف رأيه؟ قال العباس: وأي شيء في نفسه علينا؟ قال: أنسيت أنه منذ ثلاثين سنة يكاتبك في حوائجه فلا تقضيها، ويسألك في معاملاته فلا تمضيها، وعمالك يصفعون وكلاءه فلا تنكر، ويتوسل في الوصول إليك ليلا

(١) الصابي : الوزراء ، ٧٨ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ٢١٦ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ١٣١ .

فلا تأذن، وكم رقعة جاءتك بنظم ونثر فلم تعبأ بها ولا أجبته إلى مراده فيها. وكم قد جاءني منه ما هذه سبيله فلم أراع فيه وصولا إلى ما يريد إيصاله إليه. وهل كان له شغل عند مقامه في منزله وخلوته بنفسه إلا معرفة أحوالنا والمسألة عن ضياعنا وارتفاعنا وحسدنا على نعمتنا؟ هذا وهو يعتقد أن الأمر كان له ولأبيه وجده، وأنه مظلوم منذ قتل أبوه، مهضوم مقصود مضغوط، فكيف يجوز أن نسلم إليه نفوسنا فنتحرس، فضلا عن أموالنا؟))[١] فقال العباس: صدقت والله يا أبا الحسن، وساله فيمن يقلد الخلافة، قال له: ((تقلد جعفر بن المعتضد، فإنه صبي لا يدري أين هو، وعامة سروره أن يصرف من المكتب، فكيف أن يجعل خليفة ويملك الأعمال والأموال وتدبير النواحي والرجال؟ ويكون الخليفة بالاسم وأنت هو على الحقيقة، وإلى أن يكبر قد انغرست محبتك في صدره، وحصلت محصل المعتضد في نفسه ...))[٢] .

ولما تم الامر لابي الحسن علي بن الفرات وكما اراد تولي المقتدر بالله الخلافة، ثم حدثت فتنة ابن المعتز التي عزل فيها المقتدر بالله من الخلافة وتنصيب ابن المعتز مكانه، والتي انتهت بمقتل ابن المعتز ومقتل الوزير العباس بن الحسن، فتقلد الوزارة ابي الحسن علي بن الفرات، فصارت ثمرة رأيه هذا له[٣] .

وبعد عزله من وزارته الاولى في سنة (٢٩٩هـ / ٩١١م) وسجنه في دار الخلافة ومصادرته، لم يستغن عنه الخليفة المقتدر بالله اذ كان يشاوره في الامور التي تعرض عليه، ويقرأ عليه رقاع الوزير ابي علي الخاقاني (٢٩٩ . ٣٠١هـ / ٩١١ . ٩١٣م) ويعرض عليه مطالعات العمال، ثم يكتب اليه بما يراه ابن الفرات مناسباً حسب رأيه وخبرته[٤] .

(١) الصابي : الوزراء ، ١٣١ ؛ الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ، ٤ .
(٢) الصابي : الوزراء ، ١٣١ . ١٣٢ .
(٣) الصابي : الوزراء ، ١٣٢ .
(٤) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٥ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ٦ / ٤٧١ .

وشاوره الخليفة المقتدر بالله في سجنه[١]، بعد عزله من منصبه في وزارته الثانية واثناء وزارة حامد بن العباس (٣٠٦ . ٣١١هـ / ٩١٨ . ٩٢٣م) فيمن يصلح للوزارة وطلب منه مساعدته في ترشيح الشخص المناسب لها، بعد ان علم جهل حامد بامور الوزارة واثبت عدم مقدرته على ادارة البلاد وعجزه عن اصلاح امورها، فساله رأيه في الحسن بن محمد الكرخي المرشح للمنصب من قبله، وكان قد كتب الى الخليفة المقتدر بالله يطلب منه الوزارة ويضمن له حامد بن العباس وعلي بن عيسى، وعلى الرغم من إن ابا الحسن علي بن الفرات امتدحه وذكره بالشيء الحسن، الا انه لم يره مؤهلاً لمثل هذا المنصب، وقال للخليفة: ((إنّما طمع في الأمر لما رأى حامدا قد تقلّد الوزارة، ولعمري إنّها قد اتضعت بتقلّده، وطمع فيها كل احد))[٢]، فصرف الخليفة النظر عنه، وتم الامر لعلي بن الفرات وكانت وزارته الثالثة .

الإصلاحات المالية :

. مقادير الخراج :

يعد الوزير ابو الحسن علي بن الفرات من بين الوزراء الذين اهتموا اهتماماً كبيراً برفع مقادير الخراج من خلال الارتقاء بالزراعة والمزارعين، وكان يؤكد باستمرار من خلال رسائله الى عماله على رعاية الزراعة والاهتمام بالمزارعين، لانه يدرك العلاقة الوثيقة بين ارتفاع إيرادات الدولة المالية والعناية الكبيرة بالثروة الزراعية، لما تشكله أموال الخراج من نسبة كبيرة في الإيرادات العامة للدولة .

كان اول الاعمال التي ابتدأ فيها علي بن الفرات وزارته الأولى بعد ان عرض الامر على الخليفة المقتدر بالله واستحصل موافقته وامره فيه، ارساله الكتب الى العمّال فى جميع النواحي يحثهم فيها الى إفاضة العدل فى الرعيّة والقيام بإزالة كل الرسوم الجائرة عنهم[٣]. مهما افقد الدولة من اموال طائلة، فالعدل صمام الامن والامان في المجتمع الاسلامي، ومن اهم دعائم استقراره الاقتصادي، فبافاضة العدل في البلاد يطمئن الناس

(١) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ، ٣٢ .

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٨ / ١١٠ ؛ الصابي : الوزراء ، ٩٣ . ٩٤ .

(٣) مسكوية : تجارب الامم ، ٥ / ٩ .

على حقوقهم ونتائج اعمالهم ولا يخشون تسلط الاقوياء، وبطش الحكام، فالاستقرار، والنمو، والازدهار الاقتصادي ليس له من سبيل سوى نشر العدل بين الناس، والقضاء والحكم به .

ويعد اقامة العدل بين الناس من اهم العوامل المؤدية الى عمران الارض ووفرة الانتاج، اذ كان يقول: ((أصل العمارة وزيادة الارتفاع حفظ البذور، ولن يتم ذلك إلا بالعدل)) [١].

وحرصا منه على نشر العدل واقامته فقد كان يتابع اعمال الولاة والعمال في اعمالهم متابعة يومية ويتبادل الخطابات معهم، ويطالبهم بالعمل الدؤوب ويوصيهم بمتابعة الامور صغيرها وكبيرها في وقتها او قبل حلول وقتها اذا اقتضى الامر ذلك، فقد ذكر ان عامل منطقة قطربل اغفل عمل البزندات فتضرر الفلاحون بذلك فتقدموا بشكوى الى الوزير ابي الحسن علي ابن الفرات، فكتب اليه: ((ينبغي أن تراعى العمل قبل الوقت للوقت، وفي الوقت للوقت))[٢] .

وكان يصبر على العامل اذا ولاه عملاً من الاعمال لجهله به وعدم احاطته، وكان يقول عنه: ((العامل في أول سنة أعمى، وفي الثانية أعور، وفي الثالثة بصير)) [٣]. وكانت له رؤية وسياسة في ضبط شؤون الدولة وادارتها، ويرى ان الوزير لكي يكون جديرا بمنصبه، يجب عليه ان يوضح سياسته التي سيتبعها لكل عماله ليكونوا على بينة من امرهم وقيامهم بالأمور الواجبة والأعمال المناطة بهم، وابلاغهم الحجة من خلال المكاتبة المستمرة لهم، والموازنة في محاسبتهم [٤].

وكان لا يقبل بالظلم من اي شخص ويرى ان ((الظلم إذا زاد رفع نفسه))[٥]. ويوصي عماله ومتقلديه على الخراج ان يتبعوا سياسة حكيمة وان يحكموا العقل لا السيف

(١) الصابي : الوزراء ، ٢٨١ .
(٢) الصابي : الوزراء ، ٨١ .
(٣) الصابي : الوزراء ، ٨١ .
(٤) الصابي : الوزراء ، ٨٢ .
(٥) الصابي : الوزراء ، ٢٣٨ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥ / ٧٧ .

في اعمالهم وان يدوّنوا كل الحسابات منعا للوقوع في الخطأ والخلاف، ومما وصى به نجح الطولوني الذي كان متقلدا لولاية اعمال المعاون في مدينة اصبهان، وأبا جعفر حمد بن إسحاق المادرائي متقلد الخراج بمدينة دارا بجرد، ((السيف تابع والقلم متبوع، وقل سيف غلب القلم إلا كان داعية الخراب))[١]. وكان يوصي عمال الجباية ان لا يجمعوا اموال الخراج في الايام التي يقوم المزارعون فيها بتعمير الاراضي الزراعية وفلاحتها وان يختاروا الاوقات المناسبة للجباية، فكان يكتب لهم: ((العمارة بالرغبة، وحفظ الغلة بالرهبة. فقل استخراج وقع في أيام عمارة إلا أبطلها))[٢] .

ولا يقبل ان يتعدى عامل من عماله على فلاح بسيط بالضرب لاي سبب كان، ولما علم من صاحب الخبر أن احد عماله صفع واحداً من الفلاحين لامتناعه عن أداء الخراج، كتب اليه قائلاً له: ((في الحبس للتناء مأدبة، فلا تعامل بعدها أحداً بهذه المعاملة فأُمكنه من الاقتصاص منك))[٣]. وكان يحاسب العامل اذا زاد في حجم المساحة كما يحاسبه عندما يقدم على الاقتطاع منها [٤] .

وكانت اوامره وتعليماته تقضي بمراعاة احوال الفلاح في مختلف الاوقات مراعاة لا يخل بايرادات الدولة المالية، فقد كتب إلى وكيل في ضيعته: ((استكثر من غلة المقاسمة فإنها لنا دون الأكار، وتوسط في الشتوي فإنه لنا وللأكار، وقلل الصيفي فإنه للأكار دوننا))[٥] .

وقد كان اصحاب الاراضي الزراعية يصلون إليه لعرض شكواهم وما لحقهم من الظلم او التعدي من قبل عمال الجباية ، فيسمع شكواهم ويأخذ لهم حقهم، ويدقق في قوائم الحسابات بنفسه إذا استلزم الامر ليظهر له الصواب، وقد فعل ذلك مع احد المتظلمين وطلب من عماله تقديم كشوفات الحسابات لأموال الخراج لناحية من النواحي ودققها بنفسه، مما دفع الرجل الى الدعاء له والقول متعجباً: ((أي وزير يتفرغ لي حتى

(١) الصابي : الوزراء ، ٨٣ .
(٢) الصابي : الوزراء ، ٨٣ .
(٣) الصابي : الوزراء ، ٢٨١ .
(٤) الصابي : الوزراء ، ٢٨١ .
(٥) الصابي : الوزراء ، ٢٣٨ .

يتتبع حمل الجماعة من أولها الى آخرها، ويحصل ارتفاع الناحية بأسرها حتى يظهر له موضع الحيلة عليَّ؟))[١] .

وقد كان يدرك اهمية السواد ومكانته بالنسبة للخراج وفي حساب واردات الدولة المالية، ويدرك أن الإحسان إلى الرعية يزيد في ارتفاعه، لذا فقد عزم في وزارته الثالثة، ان يعفي المزارعين ثلاثة اقفزة في كل كُرَّ من مقاسمة الإستان التام، ليرى مقدار الزيادة الحاصلة في الارتفاع من جراء هذه المسامحة، لولا خوفه من سوء الفهم الذي قد يحصل من اجرائه هذا واستغلاله من قبل المغرضين واصحاب الوشايات ضده[٢] .

وكان حريصاً على اموال الخراج لا يقبل نقصاً فيها، وينظر في شكاوى اصحاب الاراضي وتظلماتهم والتوقيع عليها[٣]. وكان يدرك تماماً ان الإحسان إلى اصحاب الخراج والتخفيف عنهم في المعاملة يعود بالخير الوفير على الانتاج الزراعي وعلى واردات الدولة المالية، فقد أحسن إلى بعض الأكرة والمزارعين في ناحية كحلة من طسوج الأنبار في إحدى السنين وسامحهم عند محاسبتهم في خراجهم بمبلغ مائة درهم، فصار الرجل المسامح يذهب إلى بعض البلدان ويذكر أنه أُحسن إليه في معاملته بمائة درهم، فرغب أهل البلد في الانتقال إلى قرى ناحية كحلة، فانتقلوا وعمروا، وارتفعت في تلك السنة بعشرة آلاف دينار [٤].

و المساعدات التي تقدمها الادارة المركزية للزراعة والمزارعين، نوعان هما: نقدية وعينية، تشمل الاولى المساهمة في تنفيذ المشاريع العامة والمشتركة وتقديم السلف والقروض للمزارعين واما الثانية، فهي الاموال العينية كالبذور والآلات والمواشي والحيوانات التي تستعمل في الزراعة [٥]، وكان أبو الحسن بن الفرات يخصص اموالاً كثيرة للانفاق على المشاريع العامة والمشتركة، ويكثر من إعداد الآلات في الأماكن

(١) الصابي : الوزراء ، ١٨٣ .
(٢) الصابي : الوزراء ، ٢٢٣ .
(٣) الصابي : الوزراء ، ١٢٤ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥ / ٦٢ . ٦٣ .
(٤) الصابي : الوزراء ، ٢٨١ .
(٥) ضيف الله يحيى الزهراني : النفقات وادارتها في الدولة العباسية ، ٣٦٦ .

المعّرضة للأضرار والتي تحتاج الى المعالجة ولاسيما من اخطار الفيضانات، خوفاً من تاثير ذلك على الانتاج الزراعي وانخفاضه واثره على واردات الدولة من الخراج، وكان على سبيل المثال قد خصص في اثناء وزارته مبلغ ثلاثين دينار كنفقات على بزند من بزندات نهر الرفيل، ولم يكن يستكثر صرف المبلغ هذا لاهميته في حماية الاراضي الزراعية ودرء الاخطار عنها، ولكن عندما تولى علي بن عيسى الوزارة عينّ العباس بن منصور على المصالح فأظهر العفة وقلل من مبالغ النفقات التي خصصها الوزير ابو الحسن بن الفرات، ونسب اليه فيما كان يفعله إلى التفريط والإضاعة، ولم يطلق نفقة بزند نهر الرفيل ورأى ان الصرف عليه يجب ان يكون من صاحب الضيعة لانها قطيعة، فأحدث فعله انفجار البثق المعروف بأبي الأسود في نهر الملك، وأنفق عليه سبعمائة ألف درهم، وخسرت الدولة من مبالغ الجباية في مناطق بهرسير والرومقان وإيغار يقطين التي غمرتها المياه اموالا كثيرة، ولم ينتهي الامر عند هذا الحد بل كثرت البثوق والجبايات من اجل الانفاق في معالجتها وحدوث الاضرار الكبيرة التي لحقت بالاراضي الزراعية في تلك المناطق[١] .

كان لا يحبذ الضمان بصورة عامة وضمان الخراج بصورة خاصة، لما فيه من الاضرار الكبيرة التي تعود الى انخفاض الانتاج وقلة الواردات المالية، اذ كان يقول: ((الضمان يذهب بالارتفاع كما يذهب الساكن بالعقار))[٢]. وكان لا يقبل تضمين القادة العسكريين شيئاً من الاموال، لانه يرى ان ذلك مدعاة لهم للخروج عن الطاعة واعلان العصيان، ويرغب بضمان التاجر والفلاح الغني والعامل الوفي[٣] .

وكان يتابع اخبارهم واعمالهم ولا يقبل ظلماً او تعدياً منهم لاصحاب الاراضي التي ضمونها، ففي سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) علم ان احد الضامنين وهو محمد بن جعفر قد فرض على ملاك وفلاحي الاراضي التي على طريق خراسان وكلوذاي ونهر بِين شروط ورسوم جائرة، كتب الوزير أبو الحسن علي بن الفرات إلى عامل طريق خراسان

(١) الصابي : الوزراء ، ٢٨٠ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ٢٨١ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ٨٢ .

يامره برفع كل ظلم وابطال كل رسم جائر يعود على خراج الدولة بالمضرة، وامره استيفاء الخراج والحقوق على اكمل وجه حتى تزال الاطماع وتندثر ويعود الخراج الى الارتفاع [١].

ولم تحقق تلك الاصلاحات النجاح المطلوب للنهوص بالواقع الزراعي وزيادة الانتاج وبالتالي زيادة ايرادات الدولة المالية وحل العجز المالي الذي تعاني منه، اذ لم تلق تلك الاصلاحات العناية من قبل الوزراء الذين خلفوه في المنصب لضعف شخصيتهم وقلة خبرتهم الادارية والاقتصادية وعدم كفاءتهم ولم يلق الجانب الزراعي اهتماما من قبلهم فلحقته الاضرار الجسيمة .

. الموارد المالية الاخرى :

ذُكِرَ الوزير علي بن الفرات ذات مرة في مجلس غداء فقيل عنه انه دقيق في عمل الخراج وسريع في جباية المال، كفوءاً في تدبير امور البلاد، واليق في سياسة الملك من بقية وزراء الخليفة المقتدر بالله[٢] .

وعلى الرغم من ان هناك روايات تشير الى تبذير الوزير ابي الحسن علي بن الفرات لأموال الدولة تبذيراً مفرطاً الى حد انه اتلفها كلها [٣]، الا ان الروايات الكثيرة التي تشير الى حرصه الشديد على اموال الدولة ورعايته لها ومحاولاته لتنميتها وحل العجز المالي للدولة[٤]، تجعلنا نميل الى عدم قبول هذه الراوية والحذر منها.

فقد كان للوزير ابن الفرات جهود كبيرة في إعادة الاقاليم الخارجة على سلطة الدولة وانفصال أمرائها عن الخلافة وامتناعهم عن دفع المستحقات المالية المترتبة عليهم، وعودة تلك الاموال الى بيت المال وصرفها في النفقات العامة [٥]، وكان للوزير ايضاً

(١) الصابي : الوزراء ، ٢٥٨ . ٢٥٩ ؛ وينظر محاسبته للضامنين . الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ، ٣٥.

(٢) الصابي : الوزراء ، ٩٨ .

(٣) مسكويه : تجارب الأمم ، ٥ / ٦٥ .

(٤) الصابي : الوزراء ، ١٢٤ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥ / ٦٢ . ٦٣ .

(٥) مسكويه : تجارب الأمم ، ٥ / ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٠ ، ١٠٠١.

جهود كبيرة في محاربة القرامطة في سنة (٢٩٩هـ / ٩١١م) [١]، الذين كانوا يعيقون نشاط الحركة التجارية في البلاد .

ومما يدلل على حرصه في المحافظة على اموال الدولة انه اصدر اوامره لاصحاب الدواوين وصاحب بيت المال بعدم صرف أي مبلغ بغير صك او حُجَّة، وامر صاحب بيت المال ان لا يطلق مالاً في عطاء او إنفاق إلا ما عرفه واذن فيه وبصك مثبّت عليه عَلامَتهِ او ختمهِ، ولام صاحب بيت المال على خطأ ارتكبه ودفع مالاً مرتين، وتفريطه باموال الدولة[٢].

وكان من حرصه واهتمامه باموال الدولة ان قام بمحاسبة علي بن عيسى عندما تنازل عن بعض واردات الدولة واسقاطه بعض الضرائب عن دافعيها في وقت يجد ان الدولة كانت بحاجة ماسة اليها، فخاطبه قائلاً له: ((قد اسقطت من مال امير المؤمنين خمسمائة الف دينار في السنه، فاجابه علي بن عيسى: لم استكثر هذا المقدار في جنب ما حططته عن امير المؤمنين من الأوزار، لأنني حططت المكس بمكة، والتكمله بفارس، وجبايه الخمور بديار ربيعه))[٣] ، ولكن بعد ان سمع منه هذا الكلام اقتنع ولم يقدم على اعادتها وجبايتها على الرغم من حاجة الدولة اليها .

ولما وقف الوزير على ما يتحصل حامد بن العباس من اعمال واسط زيادة على ضمانه، فاستكثر المبلغ المتحصل وامر بمكاتبته ومطالبته بتلك الزيادة، فخشي حامد ان يؤخذ ويطالب بذلك المال، فكتب الى نصر الحاجب والى والدة الخليفة وضمن لهم مبلغاً من المال مقابل إقناع الخليفة المقتدر بالله في إسناد الوزارة إليه، فذكر نصر الحاجب للخليفة حاله وسعة نفسه وكثرة اتباعه وان له اربعمائة مملوك يحملون السلاح، فأمره بالحضور من واسط، فحضر وقبض على الوزير، وولده المحسن واتباعهما، ثم استقر رأى الخليفة المقتدر بالله على تولية حامد بن العباس الوزارة[٤] .

---

(١) مسكويه : تجارب الأمم ، ٥ / ٨٧ . ٨٨ ؛ حول الأضرار الاقتصادية ولاسيما على التجارة . ينظر : عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ١٠٧ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ٢٥٧ .

(٣) عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٢٠٣ .

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ٦ / ٦٥٧ .

ولما طلب منه احد المحتاجين وكان عليه ديناً عجز عن سداده ان يقضي دينه من مال الصدقات، ولم يكن من المستحقين لمال الصدقات، وامتنع عن اعطاءه منه، ولما اعترف انه من غير المستحقين لاموال الصدقات، قضى دينه من غير اموال الصدقات، وكان مبلغه خمسمائة دينار[١].

ومع اهتمامه الشديد بالرعية ومنهم اهل الذمة من اليهود والنصارى، فقد كان يخفف عنهم بعض الالتزامات المالية من خراج وجزية في حال عجزهم عن الوفاء وعدم قدرتهم على السداد، ولكن بما لا يؤثر على واردات الدولة[٢]. وكل هذه النصوص تدلل على حرص الوزير الكبير على اموال الدولة واهتمامه بتنميتها .

. ادارة النفقات العامة :

واجهت الإدارة ازمة مالية مستمرة لعل اهم اسبابها زيادة النفقات الناجمة عن الزيادة الكبيرة في اعداد الجند وكثرة المشاكل وحالات الانفصال للاقاليم والامصار عن جسم الخلافة وكثرة الحروب والحملات العسكرية لاعادتها الى حاضرة الخلافة، فتأزمت الاوضاع المالية للدولة، في خلافة المقتدر بالله الذي لم يحسن التصرف في الاموال[٣]، وعاشت في ازمة دائمة متجهة نحو التدهور حتى بداية التسلط البويهي (٣٣٤هـ / ٩٤٥م) .

ولقد شكلت زيادة نفقات الجند عبئاً مالياً كبيراً على الدولة العباسية، لتزايد اعدادهم، فاذا عرفنا ان قسماً من جند الخليفة المقتدر بالله وهم الحرس (المصافية) بلغ عدد الرجالة منهم (٢٠) الفاً، وكان لهم ست نوبات، كل نوبة تكلف الدولة مبلغ (١٢٠) الف دينار، وعدد الفرسان (١٢) الف وارزافهم في كل شهر (٥٠٠) الف

(١) ومما دار بينهما من حوار : ((يا هذا، إن مال الصدقات لأقوام بأعيانهم لا يتجاوزهم، ولقد رأيت المهتدي بالله رحمة الله عليه، وقد جلس للمظالم، وأمر في مال الصدقات بما جرى هذا المجرى، فقال له أهلها: ليس لك يا أمير المؤمنين ذلك! فإن حملتنا على أمرنا وإلا حاكمنا إلى قضاتك وفقهائك. فحاكمهم فخاصموه)). الصابي : الوزراء ، ٢٤٤ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ٧٨ .

(٣) حمدان عبد المجيد الكبيسي : عصر الخليفة المقتدر بالله ، ٣٦٨ . ٣٦٩ .

دينار[١]، علمنا كبر مقدار المبالغ المدفوعة لهم خلال السنة كنفقات رواتب، ولاصبحت الصورة واضحة لدينا عن مدى المتاعب التي واجهها الخليفة والوزراء في توفير المال اللازم لسد نفقاتهم. وتشير المصادر الى ان الرواتب كانت تدفع احياناً مقدماً، وربما لاكثر من شهر واحد، وذلك عند مبايعة خليفة جديد، او في حالات الازمات .

ولم تكن ارزاق الجند وحدها هي التي تستنزف موارد الدولة المالية، وإنما يضاف اليها المبالغ الكبيرة التي تمنح للجند بمناسبة تنصيب الخليفة الجديد، وهو ما يسمى بمال البيعة أو صِلة البيعة، فاذا علمنا ان الخليفة المقتدر بالله قد خُلِع مرتين وأُعيد الى الخلافة، وقد فرق على الجند الاموال ثلاث مرات لقدرنا جسامة المبالغ التي انفقت وبددت.

فقد اطلق الوزير العباس بن الحسن في بيعة الخليفة الاولى سنة (٢٩٥هـ / ٩٠٧م) ثلاثة ملايين دينار من بيت مال الخاصة [٢]، ووزع الوزير علي بن الفرات صلة ثانية في البيعة الثانية بعد فتنة ابن المعتز، فاعطى للغلمان والاولياء الذين بقوا مع الخليفة المقتدر بالله صلة ثانية ، ومنح للفرسان ثلاثة اشهر وللرجالة ست نوائب[٣]، وانفق في وزارته الاولى (٧٠٠،٠٠٠) دينار من بيت المال في اعقاب فتنة ابن المعتز انفقها على الجند كرسم للبيعة ، فضلا عن اموال الصلات التي كانت توزع على ذوي الجاه والشرف من آل البيت النبوي الشريف، فقد ذكر ابن الاثير انه فرق اموالاً كثيرة على القواد والطالبيين وآل البيت العباسي[٤] .

ولقد شكلت زيادة رواتب الجند عبئاً كبيراً على الدولة والمجتمع ايضاً، لان الرواتب إذا تأخر صرفها، فان الجند يلجأون الى الفوضى والشغب، وقد قدمت المصادر

---

(١) اذا قمنا بضرب مجموع ما يتسلموه في الشهر في ١٢ عدد اشهر السنة نحصل على مبلغ (١٤،٦٤٠،٠٠٠) دينار ، ومع ذلك فقد كانوا يطالبون الخلافة بزيادة رواتبهم وفعلاً يحصلون عليها . ينظر : عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ١٢٣ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ٣١٧ ؛ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٢٨ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ٦ / ٥٦٥ .

(٣) الصولي : قسم من اخبار المقتدر بالله ، ٤٠ ؛ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٣٣ .

(٤) الكامل في التاريخ ، ٦ / ٥٧٣ .

الكثير من النصوص التي تتحدث عن حوادث الشغب هذه، كما ان كثرة الزيادات تؤدي الى ارهاق خزينة الدولة واللجوء الى فرض ضرائب عالية ليست لها اصول في الشريعة الاسلامية، مما كان يربك المجتمع، وتنعكس آثاره السيئة على الادارة والمجتمع .

وقد قدر مسكويه نفقات دار الخلافة بما يقارب (٢٤٠،٠٠٠) دينار في الشهر، وذكر ان دخل بيت المال خلال حكم المقتدر بالله بلغ (٨٩،٨٣٠،٠٠٠) دينار، انفق منها (١٧) مليون دينار في اوجه النفقات العامة، وانفق الباقي على دار الخلافة [١]، وهذا يعني ان المبلغ الذي صرف في نفقات دار الخلافة تجاوز (٧٢) مليون دينار .

اتهم الوزير ابو الحسن علي بن الفرات باسرافه في النفقات ولاسيما في الرواتب والعطايا وعلى الخصوص مرتبات الجند والحاشية ومنذ ان تولى الوزارة لاول مرة ، اذ اشار مسكوية الى هذا الأمر بقوله: ((ما زال أبو الحسن ينفق الأموال من بيت مال الخاصّة ويبذّر تبذيرا مفرطا إلى أن أتلفها))[٢]. وذكر الصابي تمكنه من الخزائن والأموال وفعله بها ما شاء وأراد[٣].

ولم يكن من خططه تقليل نفقات الجند واسقاط الزيادات والاعطيات لانه كان يدرك ان تقليلها يثير الكثير من المشاكل ويشجع الجند على العصيان والتمرد واثارة الفوضى والشغب [٤]، ولاسيما انه راى النتائج التي تمخضت عنها سياسة الوزير علي بن عيسى في وزارته الأولى (٣٠١ – ٣٠٤هـ / ٩١٣ – ٩١٦م) عندما عزم على تخفيض نفقات دار الخلافة والجند، فأثارت سياسته المالية سخطاً كبيراً في اوساط القادة والجنود ورجال الحاشية، مما دفعهم الى ان يشغبوا عليه وينعتوه بالبخل والضيق والشح وقطع الارزاق[٥]، مع انه اقدم على اجراءاته تلك مضطراً لما راى نفقات الدولة اكبر بكثير عن ايراداتها .

---

(١) تجارب الامم ، ٥ / ٣٢٣ . ٣٢٦ .
(٢) تجارب الامم ، ٥ / ٥٥ .
(٣) الصابي : الوزراء ، ١٣٣ .
(٤) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٦٨ .
(٥) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٨٦ .

وامام شغب الجند واثارتهم للقلاقل والفوضى اضطر أن ((يزيد كل غلام ثلاثة دنانير في كل شهر من شهورهم، وزيد كل من الرجالة نصف وربع دينار في كل شهر فسكن الشغب))[١]، ومع كل هذا فانه طلب من الخليفة إعفاءه من المنصب لانه سئم من قلة أدب الجند والحاشية وسوء معاملتهم له ومطالبتهم المستمرة بالأموال، ولكن الخليفة رفض طلبه[٢] .

لذا يمكن القول ان مسألة تقليل النفقات العامة او ترشيدها كانت مسألة صعبة على الجميع، ولا يمكن حلها من قبل وزير مهما كان كفوءاً ، لاسيما ان سياسية الترشيد والتقليل في الانفاق كانت تلاقي رفضاً من بعض الاوساط السياسية في الدولة، والحقيقة اننا نجد عند دراستنا لموضوع النفقات العامة في الدولة العباسية ان هناك ظاهرتان بدأت بالظهور والبروز بشكل واضح منذ بداية الدولة وتنامت مع اتساعها وتقدمها، الظاهرة الاولى ظاهرة تزايد النفقات العامة وترجع اسباب الزيادة الى عاملين هما:

١ . نمو الدولة وازدهارها ادى الى تنوع نفقاتها التي شملت نشاطات عديدة، سياسية وحربية واجتماعية واقتصادية، وقد تزايدت مع تقدم الدولة .

٢ . ازدياد موارد الدولة المالية ادى الى تزايد الخدمات العامة، التي تزداد بازدياد ثراء الدولة .

اما الظاهرة الثانية فهي تزايد رواتب الجند بصورة مستمرة وتزايد اعدادهم، وقد ذكر ان عدد الجيش من الفرسان والراجلة بلغ مائة وستين الفاً[٣]، وهذا يعني حدوث زيادة

---

(١) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٩٢ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ٣٠٦ ؛ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٢٥٦ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ١٣ / ٢٩٤ .

(٣) ذكر انه عند قدوم رسول قيصر الروم في سنة (٣٠٥هـ / ٩١٧م) وضع الجيش على طول الطريق من دار صاعد الى دار الخلافة لإظهار القوة الهيبة والفخامة للرسول . ينظر : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ١ / ١١٧ ؛ ابن تغري بردي : ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي : اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز احمد ، دار الكتب المصرية (القاهرة : د.ت) ، ١ / ١٨٣ .

كبيرة في النفقات العامة، وهو ما اعجز وزراء الخليفة المقتدر بالله . بعامة . والوزير علي بن الفرات . بخاصة . من ايجاد الحلول الناجحة لها .

ولكي يؤمّن الوزير علي بن الفرات توفير الاموال للنفقات في ايام العجز المالي الشديد وعدم وجود اموال في بيت المال فانه كان يلجأ الى طرق عدة لاستحصال الاموال اللازمة للانفاق على المشاريع العامة وغيرها، فنراه يعمد الى الاقتراض من التجار والجهابذة كلما تعرضت خزينة الدولة لضائقة مالية، ففي سنة (٢٩٦ هـ / ٩٠٨م) استعان الوزير علي بن الفرات بالصرافين لحل الازمة المالية التي واجهت الدولة آنذاك [١].

نجد في كتاب الوزراء للصابي، ان الوزير ابن الفرات استدعى في اثناء وزارته الاولى الجهبذ اليهودي يوسف بن فنحاس الذي كان جهبذ الاهواز آنذاك، وطلب منه ان يسلفه مبلغاً من المال ليدفع منه اعطيات موظفي الاهواز لشهرين، ولقد اشير انه بحكم كونه جابي الخراج في اقليم الاهواز كان لديه ما يكفي من الضمانات على شكل ضرائب اخرى، لكن يوسف بن فنحاس لم يكن قانعاً بعد في تقديم القرض، ومع ذلك، مضت الرواية الى القول، لم يتوقف ابن الفرات من مناقشته حتى وافق اخيراً ومنح في اليوم نفسه سلفة لمدة شهر، وبالطبع، لم يتوان ابن الفرات بل امر على الفور عامله بجلب المبلغ وتوزيعه[٢] .

(١) الصابي : الوزراء ، ١٩٨ . ١٩٩ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ١٩٨ ؛ وولتر . ج. فيشل : يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للدول الاسلامية (العباسية والفاطمية والالخانية) ، ترجمة: سهيل زكار، مطبعة التكوين ، ٣٨ .

ومن طرق الحصول على الاموال في اوقات الازمات المالية الاستعانة ببيت مال الخاصة[١]، وقد لجأ الوزير اليه عندما واجه العجز المالي في سنة (٢٩٩هـ / ٩١٢م) فطلب من الخليفة المقتدر بالله أن يعطيه من بيت مال الخاصة ما يصرفه في نفقات العيد[٢]، ولكن الخليفة رفض طلبه ولم يوافق واعتبر توفير اموال النفقات من مسؤولياته، واعتذر الوزير بعدم استطاعته توفير الاموال من اية جهة للصرف على تلك النفقات ولم يبق الا بيت مال الخاصة ولهذا تقدم بطلبه، وانتهز اعدائه هذه الفرصة للايقاع به وتحريض الخليفة على عزله من منصبه، وقد تم لهم ذلك [٣].

ومن الحلول التي اتبعها عدد من الخلفاء والوزراء لمعالجة الازمة المالية في الدولة اللجوء الى المصادرات لتوفير الاموال ولقد تعددت اسبابها وتنوعت الا ان ما يمكن قوله ان لها نتائج خطيرة جداً على اقتصاد الدولة واموالها العامة[٤]، وسلك الوزير علي بن الفرات في وزاراته الثالثة طريق المصادرات لتوفير الاموال للصرف على النفقات، اذ بلغ مقدار ما صادره الوزير علي بن الفرات في وزارته الاولى من غير ما حمل من اموال

(١) لجأ معظم الوزراء في عهد الخليفة المقتدر بالله الى الاستعانة ببيت مال الخاصة لتسيير امورهم المالية عندما تضيق كل السبل وعندما يكون هناك الكثير من الامور التي يتوجب الانفاق عليها ، ولا نعلم سبب إمتناع الخليفة من إعطاء الوزير علي بن الفرات اموالاً من بيت مال الخاصة مع انه وافق على طلب وزيره ابي علي الخاقاني في وزارته (٢٩٩ – ٣٠١هـ / ٩١١ – ٩١٣م) وامر له بإخراج خمسمائة الف دينار لتصرف في رواتب الجند ، مع انه ايضا قد تعهد للخليفة بالقيام بالاعمال كافة والصرف على جميع النفقات وتغطيتها . ينظر : مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٧٦ .

(٢) من نفقات العيد التي يجب على الوزير تخصيص الاموال لها ، ((وكان الرسم جاريا بأن يفرق على القواد والفرسان والغلمان الحجرية والرجالة والخدم والبوابين والفراشين وأصحاب الرسائل والفرانقيين ووجوه الكتاب وأصاغرهم وخزان الدواوين في كل عيد. من شاة إلى عدة بعران، وتنحر في المصلى سبعون ناقة ويلتزم على ذلك مال جليل)) . الصابي : الوزراء ، ٢٨٨ . ٢٨٩ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ٣٢ .

(٤) للوقوف على اسباب المصادرات ونتائجها الخطيرة . ينظر : تحسين حميد مجيد : المصادرات في العراق خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ، طبيعتها وآثارها السياسية والاقتصادية ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الاداب ، جامعة بغداد ، (بغداد : ١٩٨٠م) ، ٤٣١ – ٤٣٢ ؛ حسام قوام السامرائي : المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ، ٢٩٠ .

الى دار الخلافة وما صرف منه في امور تخص الخليفة وامه السيدة، ما مجموعه (١،٤٧٠،٥٤٦) درهم[١]، في حين قدرت المبالغ المصادرة في وزارته الثالثة (٣١١ – ٣١٢هـ / ٩٢٣ – ٩٢٤م) من العين فقط بـ (٨،٠٤٠،٠٠٠) دينار [٢] .

ولما ولي الوزارة الثانية وعد بان يدفع الف درهم من ماله سنوياً لبيت المال ابتداء من سنة (٣٠٤هـ / ٩١٦م)[٣]، كما تعهد بالالتزام بالصرف على جميع النفقات دون اللجوء الى بيت مال الخاصة والاستعانة به[٤].

ويبدو ان الوزير في وزارته الثانية قد تبسط في الانفاق اذ زاد رواتب الكتاب والموظفين، ومخصصات حاشية المقتدر[٥]، ويرجع السبب في ذلك الى تجمع اموال كثيرة لديه في بداية توليه الوزارة من اموال المصادرات، اذ انه قبض على الوزير الخاقاني واصحابه وعماله وقبض على اصحاب علي بن عيسى ايضاً وصادرهم، مما عاد عليه باموال كثيرة، فضلاً عن اموال الخراج التي كان علي بن عيسى قد تعّجل في استحصالها لانفاقها في العيد، وكان قد كتب للعمال في بلاد فارس ، والاحواز، وبلاد الجبل، وغيرهم في ارسال الاموال التي تجتمع لديهم وحثهم على الاسراع بارسالها، وقد وصلت بعد القبض عليه، فاتسع الوزير علي بن الفرات بهذه الاموال، ونهض بالقيام بكافة نفقات الدولة[٦] .

غير انه لم يلبث ان عاد الى التبسط في الرواتب والعطايا كما فعل في وزارته الاولى، وعجز عن تحمل الاعباء المالية المتزايدة، مما ادى الى عزله عن منصبه للمرة الثانية ولم يمض وقت طويل على تنصيبه[٧]، فقد اخر دفع ارزاق الفرسان، واعتذر لهم

(١) الصابي : الوزراء ، ٩٠ . ٩١ .
(٢) الصابي : الوزراء ، ٢٤٨ .
(٣) الصابي : الوزراء ، ٣٦ ؛ مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٩٧ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ١٣ / ١٧٩ . ١٨٠ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ٦ / ٦٤٥ .
(٥) الصابي : الوزراء ، ٣٦ ؛ مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٩٨ .
(٦) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٩٦ . ٩٧ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ٦ / ٦٤٥ .
(٧) كانت مدة وزارته الثانية سنة واحدة وخمسة اشهر وتسعة عشر يوماً . ابن الاثير : الكامل ، ٦ / ٦٥٦ .

بضيق الاموال لديه، لانها انفقت في محاربة يوسف بن ابي الساج الذي امتنع عن دفع الاموال التي ضمنها للدولة واستيلاءه على اموال الري واعمالها ، فادى الى نقصان الايرادات المالية، الا ان الجند شغبوا واعلنوا التمرد والعصيان، فالتمس الوزير علي بن الفرات من الخليفة ان يساعده بمبلغ مائتي الف دينار من بيت مال الخاص ليضيف اليه مبلغ مائتي الف دينار اخرى لديه، لينفقه على ارزاق الجند، ولكن الخليفة اظهر استياءه ولم يجب طلبه وعزله من منصبه، وخاطبه قائلاً له: ((انك ضمنت انك ترضي جميع الاجناد، وتقوم بجميع النفقات الراتبة على العادة الاولى، وتحمل بعد ذلك ما ضمنت انك تحمله يوماً بيوم، فاراك تطلب من بيت المال الخاص))[١].

واخيراً توفيره الاموال لبيت المال من خلال تنازله عن راتبه البالغ خمسة الاف دينار في سنة (٣٠٦ هـ / ٩١٨م) لما تنامت واردات ضياع الوزارة في عهده واصبحت تدر دخلاً سنويا مقداره (١،١٠٠،٠٠٠) دينار، ولم يأخذه بعد ذلك مكتفياً بواردات الضياع[٢] .

. الإصلاحات في مجال الإدارة المالية :

. استحداث إدارات مالية جديدة :

وقد استحدث في وزارته الثانية في سنة (٣٠٤هـ / ٩١٦م) ديوان جديد اطلق عليه اسم " ديوان المرافق " حيث انه صادر العمال والمتصرفين وطالبهم باظهار المرافق (الاموال التي ارتشوها) وادائها الى بيت المال وتسجيلها في هذا الديوان[٣].

. الاهتمام بديوان الجند :

ومن الاجراءات التي اتخذها لضبط اموال النفقات ولاسيما نفقات الجند، اهتمامه بديوان الجند اهتماماً كبيراً، وكان يشرف بنفسه على متابعة سير العمل فيه، ويطالب العاملين فيه بالالتزام بالصكاك والحجج عند صرف عطاء الجيش، واصدر اوامره لصاحب بيت المال بان لا يطلق شيئاً في اعطاء او انفاق الا ما يعرفه هو ويأذن به،

(١) ابن الاثير : الكامل ، ٦ / ٦٥٦ ؛ وينظر: مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٠٩.

(٢) الصابي : الوزراء ، ٣٦ . ٣٧ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ٣٧ ؛ مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٢٥ .

وثبتت علامته على الصكاك به، وعندما نمى الى علمه ان بعض كتاب الديوان المتولين للعطاء اختلسوا اموال الجند ولم يعطوهم اياها قبض عليهم واوقع بهم عقاباً صارماً[١].

- اسقاط المواريث والغاء الديوان الخاص به :

وقد اهتم الوزير علي بن الفرات بشرعية الموارد المالية، وحرص على تجنب جباية الاموال التي عن طريق التعسف والظلم مهما كانت تدر دخلا كبيرا لبيت المال لما لها من مساوئ واضرار سيئة على النظام الاقتصادي للدولة .

ومن محاسن الوزير على ابن الفرات انه استطاع في سنة (٣١١ هـ / ٩٢٣م) من اقناع الحليفة المقتدر بالله بإبطال العمل بديوان المواريث الذي انشئ منذ زمن الخليفة المعتمد على الله، واستحواذ الدولة على ميراث من لا وارث له، لحاجتها الماسة الى الأموال لما كانت تعانية من عجزٍ ماليٍ كبيرٍ في ميزانيتها، وقد شكلت هذه التركات مورداً مهماً للدولة في سد جزء من اموال نفقاتها المتزايدة، ولما تولى المعتضد بالله الخلافة امر بازالة الظلم عن الناس وايقاف العمل بالديوان وتسريح جميع موظفيه، وبقي الحال في توريث ذوي الارحام الى ان اعاد الوزير حامد بن العباس (٣٠٦ . ٣١١هـ / ٩١٨ . ٩٢٣م) هذا الرسم الجائر والاثر القبيح السائر بظلمه وتعديه وتهوره، وامر بتتبع المواريث ووظف عمالاً لجبايتها يجرون مجرى عمال الخراج، وتذمر الناس من ذلك تذمراً شديداً .

وعندما تولى الوزير ابو الحسن علي بن الفرات الوزارة للمرة الثالثة سعى جاهداً لالغاء ضريبة التركات، وقد استطاع من تحقيق ذلك عندما توفي احمد بن محمد بن خالد الكاتب المعروف باخي ابي صخرة في سنة (٣١١هـ / ٩٢٣م) وكان شيخاً من شيوخ الكتاب ورؤسائهم متولياً للدواوين وخلف اموالاً واملاكاً كثيرة ولم يترك وارثاً، فتعرض اصحاب المواريث لتركته، فعلم ابو الحسن علي بن الفرات بالامر فانكره وخاطب الخليفة المقتدر بالله فيه، ومما قال له: ((قد كان المعتضد بالله والمكتفي بالله رفعا المواريث وازالاها وانت اولى من امضى فعلهما واجرى سنتهما))[٢]، وقد ابدى موافقته على اسقاط

(١) الصابي : الوزراء ، ٢٥٧ .

(٢) عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٤١ ، ١١٠.

المواريث واصدر مرسوماً عاما سنة (٣١١هـ / ٩٢٣م) انشأه علي بن الفرات بنفسه نص على ما ياتي:

١ . عدم التعرض للمواريث وردها على ذوي الارحام وكما اوجب الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ﷺ .

٢ . ان ترد تركة من مات من اهل الذمة ولم يخلف وارثاً على اهل ملته .

٣ . ان يغلق ديوان المواريث ويصرف جميع عماله .

٤ . تعميم المرسوم الى العمال في النواحي كافة للعمل به [١].

وقد اورد الصابي في كتابه الوزراء نسخة الكتاب مطولا [٢]، ومما جاء في بعض نصوصه: ((... وعرف أبو الحسن أمير المؤمنين أن ما قرر عليه حامد بن العباس الأمر من تتبع المواريث وتقليد جبايتها عمالا يجرون مجرى عمال الخراج شيء لم يكن في خلافة من الخلافات ... فأمر أمير المؤمنين بأن يرد على ذوي الأرحام ... وأن ترد تركة من مات من أهل الذمة ولم يخلف وارثا على أهل ملته، وأن يصرف جميع عمال المواريث في سائر النواحي ويبطل أمرهم، ويرد النظر في أعمال المواريث إلى الحكام على ما لم يزل يجري عليه قبل أيام المعتمد على الله))[٣] .

. الرقابة الإدارية والمالية :

كان الوزير ابو الحسن علي بن الفرات شديد التدقيق في موارد الدولة المالية من ايرادات ونفقات، دقيقاً في قراءته ومراجعاته بارعاً في استخراج الخطأ والتزوير والتلاعب[٤]، وكان لا يمل من العمل والنظر في الرقاع والتوقيع عليها إلا إذا رأى تلاعباً

(١) الصولي : اخبار المقتدر بالله ، ١٥٤ ؛ الصابي : الوزراء ، ٢٦٨ .

(٢) ينظر النص كاملاً : الوزراء ، ٢٦٨ . ٢٧١ ؛ وينظر ايضاً : الصولي : قسم من اخبار المقتدر بالله ، ٢٤٦ . ٢٤٨ ؛ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ١٠١ . ١٠٢ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ٢٧٠ .

(٤) الصابي : الوزراء ، ٧٦ . ٧٧ ، ٧٨ .

وتزويراً [١]، مما يذكر انه ((نظر يوماً في الف كتاب ووقع على الف رقعة))[٢]، كما انه كان يستمر احياناً في مزاولة عمله الى الليل حتى لا تتعطل مصالح الدولة [٣].

كان يطلع على سير الاعمال والوظائف بصورة يومية ليقف على احوال الدولة وادارة امورها، اذ كان من عادته في اثناء توليه لمنصب الوزارة ان يدعو كتابه الى الالتقاء بهم يومياً ((فمن كانت له من الكتاب حاجة قام إليه وخاطبه فيها وسأله إياها، ومن أراد إطلاعه على سر يجب الانفراد معه فيه فعل مثل ذلك، ثم يخرج وظائف الكتاب وغلمانهم والخزان ومن دونهم وسائر من جرت عادته بالوظيفة، على طبقاتهم، وأتبع ذلك بتفرقة وظائف الثلج على أصحاب الدواوين والكتاب والمقيمين في الدار))[٤].

ومن اجل ان يضبط الأمور الادارية وتنتظم الأعمال وتسير بصورة صحيحة فقد كان الوزير يختار الأكفاء من العمال ليستعين بهم ويضع كل عامل في مكانه المناسب ويسند اليه العمل الذي يجيده ويحسنه ليؤديه بشكل افضل مما لو ادى عملاً لا يحسنه[٥]، فقد كان كل وزير يتولى المنصب يحدث تشكيلاً ادارياً ومالياً جديداً يعتقد انه يستطيع من خلاله ان يقوم بمسؤوليات الحكم على الوجه الاكمل، بثقة واطمئنان الى كفاءة من اختارهم من الكتاب للعمل بمعيته .

ولقد كان له عددٌ من الكتاب واصحاب الدواوين اختارهم بشكل دقيق وشكل بهم فريق عمل رائع في ضبط الموارد المالية للدولة من الايرادات والنفقات وضبط حسابات دواوين الدولة كافة واكتشاف الاخطاء والفروقات، لمواجهة العجز المالي الذي كانت تعاني منه الدولة، وكان يعاملهم معاملة طيبة، ولم يستبدلهم بغيرهم ولم يزد عليهم، حتى ان الخليفة كان على علم بهذه العلاقة الطيبة بينهم، فقد اشار الى محبتهم وطاعتهم وانقيادهم له حين اعاده الى الوزارة في المرة الثانية بقوله: ((كان كتّاب الدواوين على

(١) الصابي : الوزراء ، ٧٨ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٣ / ٤٢٣ .
(٣) الصابي : الوزراء ، ٢٥٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٣ / ٤٢٣ .
(٤) الصابي : الوزراء ، ١٣٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ . ٢٦٢ .
(٥) الصابي : الوزراء ، ٢٨١ . ٢٨٢ .

اختلاف أقدارهم وتفاوت ما بين أخطارهم مقرّين برئاسته، معترفين بكفايته، متحاكمين إليه إذا اختلفوا))[١] .

ولما تولى الوزراة للمرة الثالثة وعلم ان الوزير حامد بن العباس لم يدفع رواتب الكتاب اشهراً، وان علي بن عيسى مساعده آنذاك لم يتمكن من جمع اموال تلك الرواتب، فانكر ذلك اشد الانكار وعجب من استمرار عدم دفعها، فارسل الى العاملين يستحثهم على جمع الاموال فجمعوا له اموال اربعة عشر شهرا في مدة عشرة اشهر، فدفع للكتاب مبالغ رواتبهم المتاخرة[٢] .

وما عُرِف عنه اخذه الرشوة من احد عماله او من طالب وظيفة ما من وظائف الدولة[٣]، ولما اتهمه الوزير حامد بن العباس بذلك، بقوله: ((كنت ترتفق من العمال))، فاجابه علي بن الفرات: ((انت احد عمالي فان ارتفقت منك أو سامحتك بفضل في يدك أو حق ترك لك فاذكر ما يجب عليك رده ليلزمني أرش الجناية في المسامحة به والخيانة فيه)) [٤].

ولقد ضرب الوزير أروع المثل في رقابته المالية ومحاسبة العمال المقصرين في استحصال الاموال وجبايتها وتعامله معهم، وخير ما يوضح ذلك ما كتبه الى احد عماله رداً على ارساله مبلغاً للجباية اقل بكثير مما هو معتاد استحصاله من تلك الناحية، فكتب له على ظهر كتابه يتوعده ويتهدده باغلظ واقسى العبارات [٥] .

وتفوق الوزير ابو الحسن علي بن الفرات على الوزير علي بن عيسى في ضبطه للادارة المالية ومحاسبته للعمال، فقد حاسب ثلاثة من عمال علي بن عيسى كانوا يتولون اعمال الانبار وطالبهم بتقديم الكشوفات لمقادير الغلات في النواحي التي يتقلدونها، فقدموا ما لديهم من تقديرات فوجد لدى الأول عجزاً يبلغ ستة الاف كُرَّ، ووجد عجزاً لدى الثاني يبلغ اثني عشر الف كُرَّ، واما الثالث فوجد العجز عنده يبلغ ثمانية الاف كُرَّ،

(١) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٩٦ .
(٢) الصابي : الوزراء ، ٢٢٢ .
(٣) الصابي : الوزراء ، ١٠٦ ، ٢٨٢ .
(٤) الصابي : الوزراء ، ٧٩ .
(٥) الصابي : الوزراء ، ١٠٣ .

فانكر على علي بن عيسى الذي شغل وقته كله اثناء توليه لمنصب الوزارة في البحث والاستقصاء عن صغائر الامور ومحقراتها توفيراً للدولة في الأموال في حين انه اضاع الأموال الطائلة الكبير، وحاسبهم على تقصيرهم[١]. وكان يوصي الولاة والعمال في جميع الأمصار والنواحي ويحثهم على الاهتمام بامور الرعية وإقامة العدل بينهم وإزالة الرسوم الجائرة عنهم[٢]، ويكتب اليهم يوصيهم ويبصرهم ويذكرهم على الدوام[٣] التعامل الحسن مع الكتاب وأصحاب الوظائف الدنيا المختلفة في الدولة اذا اخطئوا على اعتبار إن الإنسان لا يخلو من الوقوع في الخطأ مع حرصه الشديد على عدم الوقوع فيه، وعندما عرض ابنه أبو احمد المحسن المتولي أعمال ديوان المغرب كتاباً على أبيه الوزير علي بن الفرات ووجدا أن الكاتب قد أخطا في تحرير تاريخ الكتاب، فاظهر المحسن غضبه أمامه، فنهره أبوه عن توبيخه وتعنيفه ومعاقبته وقال له: ((فبحياتي عليك إن فعلت ، وعامل كُتَّابك وأصحابك بفضل الحلم وحسن العشرة ولطف القول فإن الناس لا يخلون من السهو))[٤].

ولا يقبل ظلماً لأحد من عماله أو التعدي عليه ولا حتى المساس برزقه، فقد سأله ذات مرة المتولي لوظيفة صاحب الخبر في وزارته الأولى أن يعيد عليه ما كان يتقاضاه في السابق وان يسقط راتب الرجل الذي عينه الوزير الخاقاني بدلا عنه، فلم يقبل قطع راتب الرجل وصرف له راتب اكثر مما كان يتقاضاه[٥] .

(١) الصابي : الوزراء ، ٢٨٢ . ٢٨٣ ؛ وينظر نسخة كتابه الى مؤنس في امر اضاعة علي بن عيسى للاموال وخيانة عماله ومحاسبته لهم ، وكيف انه استطاع ان يستحصل على مبلغ مليون وسبعمائة الف دينار منهم وكيف تم انفاقها من قبله. الصابي : الوزراء ، ٩٨ .

(٢) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٦٥ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ١٠٢ .

(٤) الصابي : الوزراء ، ١٠٦ .

(٥) الصابي : الوزراء ، ١٠٦ .

وفي سنة (٢٩٨هـ / ٩١٠م) دقق في سجلات كتاب العطاء، وحاسبهم فوجد نقصاً بمبلغ مائه الف دينار، واكتشف خيانتهم ، فاسترجع المبلغ منهم برفق وستر امرهم ولم يعاقبهم لانه وجد ان بعض كتابه الاكفاء قد اشترك في هذه الخيانة [١] .

وكشف في وزارته الثالثة كتب كثيرة مزورة بتوقيع علي بن عيسى، تضمنت زيادات لقوم في ارزاقهم، واصدر تعليماته الى أصحاب الدواوين ببطلان هذه الزيادات وامرهم بعدم صرف أي مبلغ لاصحابها[٢]. واكتشف ان متولي عطاء الجيش قد اوعز الى صاحب بيت المال بصرف صكين مكررين بمبلغ مائة وعشرين ألف دينار، ولما واجهه بهذا الامر اعترف بخطئه واعتذر بالسهو عن فعله[٣] .

واكتشف خيانة وسرقة قام بها جماعة من الكتاب في ديوان الجيش المتولين توزيع العطاء اذ اقدموا على احتساب اموالٍ كرواتب للجند ولم يعطوها لهم، وأخذوها لانفسهم، واقتطعوها من دونهم، فأنكر الوزير ذلك، وغضب ورأى الإقدام على مثله امراً خطيراً ، فقبض عليهم جميعاً، وعاقبهم اشد العقوبة واسترد منهم الاموال التي حصلوا عليها[٤] .

واما من كان يقع في الخطأ او السهو في عمله من كتابه من غير عمد فقد كانت عادته في التعامل معه ((أن يواقف صاحبه عليه من غير إنكار ولا تهجين، ثم يسلم العمل إليه ليتولى إصلاحه، وإن طعن أحدهم على صاحبه في عمله أنكر قوله ورده وسهل على المخطئ خطأه وأقام فيه عذره))[٥] .

– في مجال البر والاحسان :

كان كثير المواهب والصلات، ومن اخبار كرمه وجوده انه كان يُجري العطاء على خمسة الاف من الناس من ماله الخاص، وكان اقل ما يعطي الواحد منهم خمسة

---

(١) الصولي : قسم من اخبار المقتدر بالله ، ١٢٨ ؛ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ ، ٣٨ .

(٢) ينظر نسخة كتاب الخليفة المقتدر بالله الى الوزير ونسخة كتاب الوزير الى اصحاب الدواوين بخصوص الكتب المزورة . الصابي : الوزراء ، ١٣٦ . ١٣٧ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ٢٥٧ .

(٤) الصابي : الوزراء ، ٢٥٩ ، ٢٦٠.

(٥) الصابي : الوزراء ، ١٦٤ .

دراهم ونصف قفيز من الدقيق ، الى مائة دينار وعشرة اقفزة من الدقيق في كل شهر[١]، وذكر ايام وزارته الثالثة اصحاب الحديث والادب في مجلسه وما هم عليه من الفقر والتعفف، فقال الوزير: انا احق من اعانهم، فاطلق لطلاب الحديث مبلغ عشرين الف درهم، وللشعراء مبلغ عشرين الف درهم، ولاصحاب الادب مبلغ عشرين الف درهم، وللفقهاء مبلغ عشرين الف درهم، وللصوفية مبلغ عشرين الف درهم، وبذلك اصبح مجموع ما انفقه من المال مائة الف درهم[٢] .

وكان يقول : ((ما بخلت بشيء قط إلا ندمت على بخلي به))[٣]، ولهذا لم يكن يرد احداً قط عند سؤاله حاجة له، الا اعطاه او وعده بالاستجابه لطلبه بقوله له: عاودني، او اعوضك، او تمهل قليلاً، او شيئاً من هذا القبيل[٤]. وكان يقول: ((ما رايت احداً ببابي من ارباب الحوائج الا كان اهتمامي بالاحسان اليه اشد من اهتمامه))[٥] .

وكان ابو علي محمد بن علي بن مقلة يعرض على الوزير ابن الفرات الرقاع التي تتعلق بشكاوى العامة وحوائجهم[٦]. وخصص لاصحاب الحوائج ممن يفد اليه من مكان بعيد مطبخاً يأكلون فيه، ولم يزل هذا المطبخ قائماً طول ايام ابن الفرات[٧].

- في مجال الرعاية الصحية :

شهد عهد الخليفة المقتدر بالله حركة طبية رائعة، وظهر اهتمام كبير سواء من الخليفة او من حاشيته او من كبار رجال الدولة ووزراءها بالحالة الصحية للعامة، ويعد

(١) الصابي : الوزراء ، ١٦١ ، ابن كثير : ابو الفداء اسماعيل بن عمر البصري الدمشقي: البداية والنهاية ، تحقيق : علي شبري ، دار احياء التراث العربي ، ط١ (د.م : ١٩٨٨) ،١١ / ١٧٢ .

(٢) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٨٢ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ٦ / ٦٩٦ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ٨٦ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٢٢ / ٩١ .

(٥) ابن طباطبا : الفخري ، ٢٦٠ ؛ وقال ايضاً : ((ما رأيت أحداً قط في داري أو على بابي ليس لي عنده إحسان إلا كنت أشد اهتماما بإيصال ذلك إليه منه والاحتيال له)). ينظر : الصابي : الوزراء ، ١٦١ .

(٦) ابن طباطبا : الفخري ، ٢٦٤ .

(٧) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٢٢ / ٩١ .

الوزيران علي بن عيسى وعلي بن الفرات من اكثر الوزراء اهتماماً بهذا المجال، ففي سنة (٢٩٩هـ / ٩١١م) امر الوزير علي بن الفرات بإصلاح حال جميع البيمارستانات (المستشفيات) في الدولة، وتوفير ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية والمواد الغذائية والتموينية الأخرى، ووضع فيها خيرة الاطباء وافضلهم[١] .

وبنى الوزير ابن الفرات سنة (٣١١ هـ / ٩٢٣م) في اثناء وزارته الثالثة مستشفى في مدينة بغداد بمحلة درب المفضل، كان ينفق عليه من ماله الخاص في الشهر مبلغ مائتي دينار جارياً، أي ان النفقة السنوية تبلغ (٢٤٠٠) دينار[٢]، وهذا يدل على اتساع هذا المستشفى وكثرة استقباله للمرضى والخدمات الصحية التي يقدمها .

ويبدو ان هذا البيمارستان قد استمر في تقديم خدماته لمرضى العامة بعد مقتل الوزير في سنة (٣١٢هـ / ٩٢٤م)، وبقي يلقى الدعم والاهتمام من قبل الوزراء الذين خلفوه في المنصب، اذ ذكر صاحب كتاب عيون الانباء ان الوزير الخاقاني قلد في سنة (٣١٣هـ / ٩٢٥م) الطبيب ابو الحسن ثابت بن قرة البيمارستان الذي بناه ابن الفرات بدرب المفضل وجعله مشرفاً، وواصل الإنفاق عليه بمعدل (٢٤٠٠) دينار في السنة[٣] .

– دراسة معوقات الاصلاح الاداري والمالي :

لقد كان المرشح لمنصب الوزير مواصفات متميزة ينبغي ان تتوفر فيه قبل ان يتم تعيينه، وعمد الخلفاء العباسيون الى اختيار الافضل من كتابهم للوزارة الذي يتصف بالامانة والعفة، ومن يامنوه على اسرارهم واموالهم، وان يكون ناصحاً صدوقاً، يثقون بحزمه وفضل رأيه وصحة تدبيره في امورهم، وهو ما اعطى للمنصب هيبته ومكانته في الدولة. ولكن منصب الوزارة ضعف كثيراً بسبب تسلط قادة الجند على الادارة والجيش وسيطرتهم على الاموال وتسييرهم الدولة على حسب اهوائهم، وبقي الحال الى خلافة

(١) ابن الاثير : الكامل ، ٦ / ١٤١ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ١٣ / ٢٢٠ .

(٣) ابن ابي اصيبعة : ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي ، عيون الأنباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت : د.ت) ، ٣٠٤ . ٣٠٥ ؛ احمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، دار الرائد العربي ، ط٢(بيروت : ١٩٨١م) ، ١٨٤ .

المعتضد بالله والمكتفي بالله فعادت للوزارة هيبتها وللوزير مكانته واسترد مجمل اختصاصاته[١] .

غير ان احوال الوزارة عادت الى التدهور من جديد في عصر الخليفة المقتدر بالله[٢]، وقد انتهت اوضاع الوزارة ومكانتها الى الزوال حين استحدث منصب امير الامراء، ورتب المتقلد له فوق الوزير، وكانت النتيجة ان بطل امر الوزارة، ومنع الخليفة من اتخاذ وزير له، واستمر ذلك حتى وصول البويهيين وتسلطهم على الادارة والدولة ولم يعد بيد الخليفة من المسؤوليات ما يستدعي وجود الوزير[٣].

ضعف الخلافة العباسية في هذه الحقبة والمتمثل بضعف الخليفة وتسلط نساء القصر والحاشية والقادة العسكريين من غير العرب في ادارة شؤون الدولة وتصريف امور الحكم سياسياً واقتصادياً بعد وفاة الخليفة المكتفي بالله في سنة (٢٩٥هـ / ٩٠٧م)، ومدة حكم المقتدر بالله، فكان لتلك السياسة الخرقاء بعد عدة خلفاء من حكم المقتدر وفي بضع سنين ان تؤدي الى مجيء البويهيين والاستيلاء على الحكم وانحسار الحكم العربي من بغداد الا بالاسم فقط بما يزيد على القرن[٤] .

قال صاحب كتاب الفخري عنه: ((واعلم أنّ دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير، لصغر سنّه ولاستيلاء أمّه ونسائه وخدمه عليه. فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء والخدم وهو مشغول بلذّته، فخربت الدّنيا في أيّامه. وخلت بيوت الأموال. واختلفت الكلمة فخلع ثمّ أعيد. ثم قتل))[٥] .

ومن النساء الذين كان لهم شأن خطير في افساد الحكم وترديه بتدخلهن بامور الدولة، السيدة " شغب " المملوكة زوجة الخليفة المعتضد بالله وام الخليفة المقتدر بالله، كان لها دور في إدارة شؤون الخلافة، وتدخلها في شؤون البلاد والعباد، فمن وافقت عليه

(١) حسام الدين السامرائي : تطور نظام الوزارة ، ج١٨ ، ع٣٩ ، ٢٨٢.
(٢) الصابي : الوزراء ، ٢٨٧ .
(٣) حسام الدين السامرائي : تطور نظام الوزارة ، ج١٨ ، ع٣٩ ، ٢٨١ . ٢٨٢ .
(٤) الصولي : قسم من اخبار المقتدر بالله ، دراسة المحقق ، ١٧ .
(٥) ابن طباطبا : الفخري ، ٢٥٦ .

قرب وولي واستوزر ومن غضبت عليه عزل وحبس وصفيت امواله وربما قتل، وكان الخليفة لا يعقد امراً الا بحضورها، وان رضاها أمر لا بد منه، وكان لها دور في ابعاد الوزير علي بن الفرات من منصبه في وزارته الاولى(١). وقامت ايضا بتحريض الخليفة عليه وتخويفه منه عندما هم بضرب رجال الحاشية والقادة العسكريين المتنفذين كنصر الحاجب ومؤنس الخادم والقضاء على نفوذهم والتخلص منهم(٢)، وتعد محاولته تلك من أولى المحاولات التي قام بها وزير للتخلص من نفوذ القادة العسكريين وتسلطهم على الخلافة .

اما ام المعتضد(٣) فقد سعت لتنصيب محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيراً وابعاد علي بن الفرات عن منصبه وخلعه من الوزارة، وكان الخاقاني يراسلها سراً وضمن لها مئة الف دينار، ووفى لها بالمبلغ بعد ان تم له ذلك(٤).

ثم عملت على ابقائه في منصبه بعد ان قرر الخليفة استبداله بابن ابي البغل، وضمن لها خمسين الف دينار، فعملت على نقض امر ابن ابي البغل، وابقاء الخاقاني في منصبه، فوفى بما ضمن لها(٥).

ولعبت القهرمانات بعد امهات الخلفاء دوراً فاعلاً في دار الخلافة وكنَّ اليد الفاعلة لامهات الخلفاء في التوتر والتآمر وبث الاضطراب بين رجال القصر والولاة والقواد، وهو دور ينعكس على الامن والعدل والاستقرار في حياة الناس ومعاشهم، وقد برزت منهن القهرمانة " ام موسى " النحوية والمعروفة بالهاشمية، والقهرمانة " ثمل " والقهرمانة " زيدان "(٦).

---

(١) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١١٠ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥ / ٥٢ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ٥٤ ؛ مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٧٩ .

(٣) وتدعى "دستنبويه "وهي امراة مملوكة كانت تبيع المناصب ولا سيما منصب الوزير لمن يدفع لها مالا اكثر .

(٤) الصولي : قسم من اخبار المقتدر بالله ، ١٥١ ؛ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٢٠ .

(٥) الصولي : قسم من اخبار المقتدر بالله ، ١٥٨ .

(٦) الصولي : قسم من اخبار المقتدر بالله ، دراسة المحقق ، ١٩ .

الدور الخطير الذي لعبه رجال الحاشية من غير العرب وبحكم المواقع التي احتلوها وقربهم من مركز القرار السياسي فقد تدخلوا في جميع شؤون الدولة[١]، ولاسيما في التأثير على الخليفة العباسي في تولية الوزراء وعزلهم، فقد كانت منافعهم الشخصية ومصالحهم الذاتية تدفعهم للحصول على الاموال لتغطية نفقاتهم غير المشروعة، ولصرفها على ملذاتهم، او لجمعها واكتنازها لحبهم وجشعهم الشديد لها وبأي وسيلة كانت. فقد عمل نصر الحاجب على استبعاد الوزير علي بن الفرات من الوزارة لخوفه منه وكراهيته له وسوء رأيه فيه، كما انه تسلم مبلغاً كبيراً من حامد بن العباس ليسعى له بمنصب الوزارة، وقد تم له ذلك[٢] .

ووصل الامر بالوزير علي بن الفرات بعد استبعاده عن منصبه في وزارته الثانية والقاء القبض عليه والتنكيل به وتعذيبه الى الاستغاثة ببدر خادم الحريم لكي يخاطب السادة للرأفة بحاله واخراجه من السجن[٣] .

ولما رأى الخليفة المقتدر بالله سوء ادارة الوزير أبي علي الخاقاني وعدم مقدرته لضبط الامور واحكامها وتصريفها واضطراب احوال الخلافة، استطاع مؤنس الخادم تغيير رأي الخليفة عندما همَّ باعادة ابي الحسن علي بن الفرات الى الوزارة في سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٢م)، متعللاً بخوفه ان يُساء الظن بالخليفة ويقال انه اعاده الى الوزارة

(١) لقد تبوأ عدد من الرجال العبيد والاجلاب من غير العرب مناصب خطيرة في الدولة ، وفي مراكز قريبة من اصحاب القرار السياسي ، بل منهم من بات هو صاحب القرار السياسي، وبلغ الغرور ببعضهم حداً بات فيه يتهدد الخليفة في دار حكمه ، ومنهم من عمل على سحب بساط الشرعية من تحت اقدام الخليفة العباسي ويتامر على الشرعية التي يستند اليها حكم الخلفاء العباسيين ، ومع وجود الاختلافات والمنافرات بينهم ومحاولة كل واحد العمل لنفسه ، الا ان المنافع الفردية والانية كانت تجمع بينهم ، كما كان الخوف من إضعاف نفوذهم وحرمانهم من السيطرة هو الذي يجمعهم ، ومن ابرزهم : صافي الحرمي ، وفاتك المقتدري ، ومؤنس الخادم ، وسوسن الحاجب ، ونصر الحاجب المعروف بـ " القشوري " ، ووصيف بن صوارتكين وغيرهم . الصولي : قسم من اخبار المقتدر بالله ، دراسة المحقق ، ١٩ . ٢٠ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ٣٨ ؛ مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١١٠ ؛ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٦٥ .

(٣) وقوله السادة، إشارة إلى الخليفة المقتدر بالله والسيدة والدته وخاطف ودستنويه أم ولد المعتضد بالله، وهم إذ ذاك مستولون على التدبير لصغر المقتدر بالله . الصابي : الوزراء ، ١١٩ ؛ مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٤٨ .

بعد شهور من عزله طمعا في امواله، واخفى حقده وكرهه لابن الفرات وما كان يرمي اليه من تقليد علي بن عيسى الوزارة بدلا عنه[١] .

تهاون الخليفة المقتدر بالله في دعمه لمحاولات الاصلاح الاداري والمالي، إذ كان لصغر سنه متقلباً في آراءه وفي اتخاذ القرارات الصغيرة والكبيرة[٢]، منساقا وراء اية وشاية او سعاية كاذبة، ومنقاداً كثيراً لآراء النساء والجواري والقهرمانات والحاشية ، محكماً لهم في دولته، سامحاً لهم بالتدخل في الشؤون السياسية، وتظهر الكثير من النصوص التاريخية شخصية الخليفة الضعيفة، الذي لم يكن قادراً على مفاتحة مؤنس عندما اراد اخراجه الى مدينة الرقة، وعاقب وزيره ابن الفرات بضربه بالسوط ضرباً مبرحاً لانه اخبر مؤنساً بذلك وذكر له ان الامر تم بناءاً على رغبة الخليفة وامره[٣]، وكل هذا أربك السياسة التي انتهجها الوزراء وأفشل ما رسموه من خطط لإصلاح الأوضاع المتردية في الدولة، ولعل عدم ثبات الخليفة في قراراته التي يتخذها وتغير مواقفه تجاه الأمور والأشخاص ما يوضح لنا كثرة الوزراء الذين تولوا منصب الوزارة في خلافته .

كما ان اسراف الخليفة المقتدر بالله في تعيين الوزراء وعزلهم كان له دور في افشال الخطط الاصلاحية للوزراء الاكفاء، بحيث بلغ عددهم في عهده اثنتي عشرة وزيراً، وكان البعض منهم غير مؤهلٍ للمنصب لا يمتلك الخبرة والكفاءة ضعيف الشخصية أساء الى الدولة اكثر مما اصلح من شؤونها، كان همهم استنزاف الاموال وتحقيق مصالحهم الشخصية واستعادة الاموال التي دفعوها مقابل حصولهم على المنصب، ولم يشغل البعض منهم وقتا طويلا في المنصب، وتعرض معظمهم للمصادرة أو للسجن أو للقتل، وتبع تغير الوزراء تغير العمال والكتاب الاكفاء في ارجاء الدولة، اذ كان كل وزير ياتي الى الوزارة يقوم بتعيين الكتاب والعمال المقربين وعزل من عينه الوزير السابق، مما ادى

(١) ان حقد مؤنس الخادم للوزير ابي علي بن الفرات وكراهيته له كانت منذ ايام فتح فارس ومحاربته للسبكري ثم مهادنته وطلبه ومحاولته ارضاء الخلافة بتضمين فارس وكرمان على مبلغ من المال ، ولما اعترض على السبكري على المبلغ الذي حدده الوزير وامتنع عن الزيادة على ما حدده هو من مال ، فاتهم الوزير مؤنساً بالتواطئ مع السبكري والميل اليه . مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٢ ، ١٦ . ١٧ .

(٢)الصابي : الوزراء ، ١٣٣ . ١٣٥ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥ / ٦٩ .٧١ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ٦٨ .

الى تخلخل الاوضاع الادارية واضطراب الامور المالية للدولة العباسية فتعقدت الامور وتفاقم العجز المالي ووقعت ازمات مالية جديدة. كان لها الدور في فشل البرامج الاصلاحية التي وضعها الوزراء الاكفاء وفي تحقيق اهدافها واصلاح الاوضاع المالية للدولة واعادة هيبة الخلافة .

عدم اتاحة الوقت الكافي للوزير للقيام باصلاحاته الادارية والمالية خلال توليه الوزارة في المرات الثلاث، وقصر مدة وزارته الاولى التي (٢٩٦ . ٢٩٩ هـ / ٩٠٨ . ٩١١م) وهي ثلاث سنين وثمانية اشهر وثلاثة عشر يوماً[١]، فلم تكن كافية لاكمال الاصلاحات وازالة المعوقات او رؤية ثمار اعماله واصلاحاته، فضلاً عن ان جزء كبير منها قضي بالانشغال باقليم فارس الخارج على سلطة الدولة واعادته الى الطاعة، والخلافات بين الوزير واعدائه المتربصين به ومحاولاتهم الايقاع به عند الخليفة المقتدر، وينطبق الامر على قصر مدة توليه الوزارة الثانية .

تغيير سياسته في وزارته الثالثة، والانتقال من سياسة التسامح والعفو عن الاعداء والخصوم السياسيين الى سياسة الانتقام والتنكيل، واطلاق يد ابنه المحسن في القبض عليهم وسجنهم ومصادرتهم وقتلهم[٢]، ولعل السبب الذي دفع الوزير الى تغيير سياسته يعود الى ان سياسة التسامح لم تكن ناجحة مع اولئك اذ انها ادت الى تمكن خصومه منه فانتهزوا الفرص وكادوا له وابعدوه عن المنصب اكثر من مرة ونكلوا به وصادروه وعذبوه وانتهكوا حرمته، وهو ما ذكره الوزير نفسه من انه قد احسن الى الناس مرتين في ايام وزارته الاولى والثانية فلم احصل منهم على الشكر بل على العكس من ذلك اذ انهم سعوا في قتلي والتخلص مني، وقال: ((وواالله لاسلكن بهم ضدّ تلك الطريقة))[٣]، وتعدى المحسن واسرف في تعذيب الناس ومصادرتهم وقتلهم، حتى انه كان يضرب الرجل الذي

(١) مسكوية : تجارب الامم ، ٥ / ١٣ .

(٢) ذكر الصابي في كتابه أسماء الاشخاص الذين قبض عليهم المحسن بن أبي الحسن علي بن الفرات ونكبهم وقتلهم وأبعدهم وما جرى عليه أمر كل واحد منهم . ينظر : الوزراء ، ٤٤ ؛ مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٥٠ ، ١٨٥ . ١٨٦ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٩٨ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ١٢١ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥ / ٥٥ .

لو قال له: اكتب خطك باي مبلغ يرده لكتب له دون ان يضرب[١]. ويبدو انه كان معترضاً على ما يفعله ابنه المحسن وخاطب الخليفة بشأنه وبين له الاثار الضارة التي ستعود على الدولة من جراء هذه الافعال الا ان الخليفة امره بعدم الاعتراض عليه او منعه[٢] .

ويبدو انه دفع الى تغيير سياسته دفعاً لما وجد تكلُّب العديد عليه وعلى اولاده وسعيهم الحثيث للخلاص منه ، فعندما كان محبوساً اشار عليه ابنه المحسن بان يضمن حامد بن العباس وعلي بن عيسى وكل من له صلة بهما ، فرفض ذلك قائلا له: ((العافية أعفى لي، قد استرحت وأمنت وعلت سني مع ذلك، وتعرضي لما قد استرحت منه جهل))، وكان الخليفة المقتدر بالله يطلب منه ذلك ايضاً وهو يرفض، حتى لاقى من ابن الحواري ما لاقى، مما اضطره الى قبول العرض بشرط ان لا يعارض فيهم، فخرج من سجنه واطلق يد ابنه المحسن ففعل الافاعيل وقتل ابن الحواري وعدد اخر[٣].

امتناع بعض المقاطعين والضامنين عن دفع المستحقات المالية المترتبة عليهم من اموال الضمان الذي ضمنوه للخلافة وبيت المال عن الضياع والخراج، فقد امتنع يوسف بن ابي الساج عن دفع اموال الخراج والضياع العامة بارمينية واذربيجان، ثم عصيانه وخروجه على الخلافة ومحاربته من قبلها[٤]، ولم يؤد محمد بن علي صعلوك اموال الضمان عن اقليم الري وما يليها من قزوين وابهر وزنجان وكان متغلبا عليها[٥]، على الرغم من انه كان مبلغاً بسيطاً، ولم يف سبك غلام يوسف ابن ابي الساج بما ضمنه للخلافة من اموال الضمان عن اذربيجان ومبلغها مائتين وعشرين الف دينار[٦]، وكل ذلك راجع الى ارتباك اوضاع الخلافة وحصول الخلافات بين رجال الدولة وكثرة

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٥٤ ؛ الصابي : الوزراء ، ١٢٠ . ١٢١ .
(٢) الصابي : الوزراء ، ١٣٩ .
(٣) الصابي : الوزراء ، ٨٠ .
(٤) الصابي : الوزراء ، ٥٤ ؛ مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٦٧ ، ٩٩ – ١٠٤ ،
(٥) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٨٩ ، ١٠٠.
(٦) عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٢١١ ؛ مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٠١ ، ١٠٣ ؛ الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ، ١٨ . ١٩ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ٦ / ٦٤٨ .

تولي الوزراء وعزلهم، اتاح الفرصة للضامن والمقطعين للاحتيال والمماطلة وعدم الدفع، وقد وصل الحال ببعضهم الى اعلان العصيان على الخلافة والاستقلال بالاقليم الذي تضمنه، واضطرار الدولة الى ارسال الجيوش لمحاربته واستعادة الاقليم فيكلفها ذلك اموالاً كثيرة، فضلا عن ان مبالغ الضمان التي تم الاتفاق عليها كانت في الغالب بسيطة لا تتناسب مع حجم الخراج الحقيقي للاقليم، ومع هذا نجد ان بعضهم يماطل ويسوف ويمتنع عن الدفع[١]، مع ما يقوم به من اعمال عسف وظلم لاصحاب الخراج من اجل جمع اموال الضمان وتحقيق اكبر قدر ممكن من الارباح[٢]، مما ادى الى انخفاض الإيرادات المالية للدولة وعجزها عن الايفاء بأموال النفقات العامة المتزايدة .

الزيادة المستمرة في رواتب الجند والقادة حمل ميزانية الدولة عبئاً كبيراً في توفير هذه الرواتب وعجزها في بعض الاحيان لعدم توفر الاموال ووجود الازمة المالية، فقد كان الجند يطالبون الخلافة بالزيادة والمكافئة بعد كل حملة عسكرية يقومون بها ويحققون النصر فيها واذا لم تستجب لهم دار الخلافة فانهم يعمدون الى الشغب والعصيان .

لقد اكتنفت حياة الناس سلسلة من الازمات الطبيعية التي من شأنها ان تحدث المجاعات، لارتفاع الاسعار وقلة المحصول واحتكار القوت والسلع فتوالت سنوات القحط والجوع والمرض متتابعة، فاسهمت من جانبها في تردي الاوضاع العامة واضطراب احوال الدولة، ففي سنة (٣٠٧هـ / ٩١٩م) شغب العامة شغبا عظيما متصلا ، لارتفاع الأسعار وقلة الطعام بسبب احتكار الوزير حامد بن العباس لقوت العامة، مما ادى الى تذمرها واستيائها فقامت بينهم وبين السلطات مواجهات أدت إلى قتل الكثير من الناس[٣]، مما اضطر الخليفة المقتدر بالله الى فسخ

(١) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) مسكوية : تجارب الامم ، ٥ / ٣٤ .

(٣) الصولي : قسم من اخبار المقتدر بالله ، ١٤٨ ؛ مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٢٨ ؛ عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٢١٦ ؛ الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ، ١ / ٢١ ؛ ويضع ابن الجوزي هذه الازمة ضمن احداث سنة (٣٠٨هـ / ٩٢٠م) . ينظر : المنتظم ، ١٣ / ١٩٤ .

ضمان حامد بن العباس وصرف عماله عن السواد[١]، وكادت هذه الازمة ان تودي بكيان الدولة[٢] .

وكانت سنة (٣١١هـ / ٩٢٣م) من بين سنوات السوء الشديدة الوطأة على الناس حتى سميت بـ " سنة الهلاك " و " سنة الدمار "[٣]، ولم يكن الخليفة موفقاً في اختيار الوزير المطلوب لادارة الازمة وايجاد الحلول لها، بل نجده يختيار رجل تولاها قبل ذلك مرتين، وحبس ونكل به وعذب وصودرت امواله، فكان همه الاول في وزارته الثالثة ان ينتقم من كل من تسبب في حبسه وتشريده وتصفية امواله في وزارتيه السابقتين، بهذه الروح دخل علي بن محمد بن الفرات الوزارة للمرة الثالثة في هذه السنة " سنة الهلاك " فزاد دخوله من سوء الاحداث وشدة وطأتها على الناس[٤].

ومن المعوقات التي اسهمت في افشال الاصلاحات التي قام بها الوزير علي بن الفرات، هي اختلاق التهم الكاذبة من قبل قادة الجند ورجال الحاشية للوزير من اجل الاطاحة به وابعاده عن الوزارة، وتحريض الخليفة عليه للتخلص منه، وفعلاً تمكنوا في نهاية المطاف من قتله، ومن تلك التهم اتهامه بالدعوة لاحد الطالبيين المقيمين في منطقة طبرستان ومراسلته تمهيداً لاخذ البيعة له[٥]. اتهامه بالسعي في إفساد أمور الدولة ومساعدة الخارجين على اعلان العصيان فقد اتهم في اثناء وزارته الثانية من قبل نصر الحاجب وابي القاسم بن الحواري وشفيع اللؤلؤي بتحريضه لابن ابي الساج على اعلان العصيان وشق عصا الطاعة للخلافة، وكل ذلك من اجل الاطاحة بالوزير واستبداله بابي علي بن مقلة[٦]. واحضر حامد بن العباس احد الجنود وادعى انه كان رسول ابن الفرات الى يوسف بن ابي الساج، واخرج كتاباً منسوباً اليه، فأغاظ ذلك الخليفة المقتدر بالله، ثم

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ٦ / ٦٦٣ .

(٢) حمدان عبد المجيد الكبيسي : عصر المقتدر بالله ، ١٩٥ .

(٣) عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، ١١ / ٩٧ .

(٤) الصولي : قسم من اخبار المقتدر بالله ، دراسة المحقق ، ٢٣ .

(٥) الصابي : الوزراء ، ١١٤ ؛ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٤ / ٣١ .

(٦) مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ١٠٢ ، ١٠٤ ؛ الكامل في التاريخ ، ٦ / ٦٥٦ – ٦٥٧ .

تبين كذبه وكذب من دفعه الى فعل ذلك[١]، مع انه كان وفياً للخليفة مخلصا له وحريصاً على حياته وخلافته[٢]، واخيرا اتهامه بل اتهام بني الفرات كلهم بالرفض والميل الى القرامطة[٣] .

وعلق احد الباحثين على المصير الفظيع الذي تلقاه الوزير بعد كل الخدمات التي قدمها للخلافة والدولة العباسية بقوله: ((ان ما ارتكب بحق الوزير علي بن محمد بن الفرات مع خدماته للدولة وتكرار استلامه منصب الوزارة يعكس مدى الانحلال والتردي التي وصلت اليه العلاقة بين الخليفة والوزير، والانحطاط الذي بلغه منصب الوزارة، ومدى الاستهانة بارواح كبار المسؤولين في الدولة كما يعبر عن مدى تدخل قادة الجند الاتراك والحاشية والحرم وجشعهم وتغليبهم المصلحة الذاتية على المصلحة العامة للخلافة والامة))[٤] .

The Abbasid Minister Ibn AL-Furat (296 – 312A.H / The Abbasid Minister Ibn Al-Furat (296 – 312A.H / 908 – 924A.D): His financial and Administrative Reforms in the Abbasid state

Asst. Prof.Dr. Muhannad Nafe Khattab AL- Mukhtar

Abstract

The current study investigates the reign of the Abbasid caliph Abu AL-Hassan Ali bin AL-Furat (241 -312 A.H / 855 -924 A.D) is considered the most famous writer since the era of the caliph AL-Muetamid Ala Allah (256 – 279 Hij / 870 – 892A.D) and during the era of the the caliph AL-Moktader Billah (295 – 320 Hij / 907 – 932 A.D). He was greatly prominent when he assumed the post of the ministry for three times by which he established the caliphate of AL-Moktader billah through his honesty and his hardworking .

(١) بسبب ان ابن الفرات طالبه بمبلغ اكثر مليون دينار زيادة من فضل ضمانه اعمال واسط ، والح عليه بالمطالبة مما دفعه الى السعي بجد للحصول على منصب الوزير بمساعدة نصر الحاجب والسيدة ام الخليفة ، وتم له ذلك .مسكويه : تجارب الامم ، ٥ / ٣٢ . ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) الصابي : الوزراء ، ٨١ .

(٣) الصابي : الوزراء ، ٣٤١ .

(٤) حسام الدين السامرائي : تطور نظام الوزارة ، ج١٨ ، ع ٣٩ ، ٢٩٩ .